لغز بلا نهاية



محمود سالم

لغز بلا نهاية

تأليف
محمود سالم



لغز بلا نهاية

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ‎+ ٤٤ (٠) ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: أحمد رحمي

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٢٥٣٦ ٤

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٧.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

المحتويات

«لوزة» تحصُل على لغز

قضى المغامرون الخمسة فترةً طويلة بلا «مغامرةٍ» واحدة يشتركون فيها ... أو لُغز يحاولون حلَّه ... وكان ذلك بالنسبة لهم شيئًا لا يمكن احتمالُه ... ولكنْ لا المغامراتُ ولا الألغازُ شيءٌ يمكن شراؤه ... وما على المغامر إلا الانتظار ... لهذا فإن مكالمةً تليفونية ذات مساء لـ «لوزة» ... كانت هديةً من السماء للمغامرين ...

والحكاية بدأَت ذات مساءٍ صيفي حار ... وكانت «لوزة» تجلس في حديقة المنزل قُرب الكُشك الصيفي الذي اعتاد المغامرون الجلوس فيه ... ولم يكن «عاطف» موجودًا ... فقد ذهب مع والده ووالدته إلى نادي «الجود شوط» ... وفضَّلتْ «لوزة» البقاء على أمل أن يحدُث شيء ... وكأنما كان أنفها، الذي يشُم المغامرات والألغاز، قد شمَّ رائحةَ لُغزٍ من بعيد ... وقد جاء اللغز ... فقد دقَّ جَرَس التليفون الذي كانت تَضعُه بجوارها ورفَعَت السماعة ... وعلى الطرف الآخر سمِعَت صوت صديقةٍ لها تُدعى «بسمة»، وكانت «بسمة» كاسمِها تتحدَّث بهدوء ... وتتصرَّف بهدوء ... حتى أثناء حصة الألعاب كانت تلعب بهدوء ... ولم تكن «بسمة» زميلة لـ «لوزة» في المدرسة الآن ... فقد كانت قد انتقلَت إلى مدرسةٍ أخرى.

وجاء صوت «بسمة» عَبْر التليفون هادئًا كالنسمة في أُمسيات الصيف، وتبادلَت الصديقتان التحيات ثم قالت «بسمة» لـ «لوزة»: أَلَمْ تمُر عليكِ أمسِ أو اليومَ صديقتُنا «سماء»؟

أخذت «لوزة» تتذكر «سماء» ... كانت معهما فعلًا في المدرسة الابتدائية، ثم انتقلَت مع «بسمة» إلى المدرسة الجديدة ... وبَقِيَت «لوزة» في مدرستها القديمة القريبة من منزلها ... تذكَّرتْها وقالت تَرُد على «بسمة»: نعم ... بل إنني لم أَرَها منذ أكثر من شهر.

ساد الصمت لحظاتٍ ثم قالت «لوزة» وقد تنبَّهَت غريزة المغامرة فيها: لماذا سَكتِّ يا بسمة، هل هناك شيء؟

ردَّت «بسمة» في حزنٍ واضح: نعم ... إنها لم تعُد إلى منزلها منذ أمسِ ليلًا! قالت «لوزة» بلهفة: أمسِ ليلًا ... شيءٌ غريب!

بسمة: ... إن أهلها في غاية الحزن والألم ... بل إن والدتَها أُصيبَت بغيبوبة مرتَين!

أحسَّت «لوزة» بقلبها يدُق سريعًا، ثم سألَت: ولكن كيف حدَث هذا؟

ردت «بسمة»: إنها حكايةٌ طويلة!

لوزة: ولكنِّي أُحب أن أسمعها، لماذا لا تأتين الآنَ لزيارتي؟

بسمة: للأَسفْ ... إن والدي منعَني من الخروج بعد اختفاء «سماء».

لوزة: معه حق ... ما رأيُكِ لو أتيتُ أنا لزيارتكِ؟

بسمة: سيُسعِدني هذا جدًّا!

لوزة: سآخذ درَّاجَتي وأَمُرُّ عليكِ بعد عَشْر دقائق ... انتظريني في الحديقة. ولم تكد «بسمة» تضع سماعة التليفون، حتى أدارت «لوزة» القُرص وطَلَبَت «تختخ»، ورَدَّ عليها المغامر البدين قائلًا: إنكِ بالطبعِ تسألين عن لُغزٍ أو مغامرة!

لوزة: لا ... إنني عثرتُ على اللغز المطلوب!

تختخ: لُغزٌ لحل الكلمات المتقاطعة في الجريدة؟

لوزة: لُغزٌ حقيقي ... فيه شخصٌ مختفٍ!

تختخ: غريبٌ جدًّا ... أين عثرتِ على هذا اللغز؟

لوزة: وصلَني عن طريق أسلاك التليفون ... وسأذهبُ فورًا.

تختخ: للبحث عن الشخص المختفي؟

لوزة: لا ... ولكن لسماع القصة كلِّها ... هل تذكُر «بسمة»؟

فكَّر «تختخ» قليلًا ثم قال: أتذكَّرها ... هذه الفتاة الهادئة ذات العينَين الخَضْراوَين.

لوزة: بالضبط ... إنها هي التي تعرف.

تختخ: وهل تذهبينَ وحدكِ؟

لوزة: نعم ... إلا إذا شئتَ أن تأتي معي.

تختخ: ليس عندي ما يشغلُني، ولكني لا أعرف العنوان.

لوزة: سأمُر عليكَ بعد دقائق، كن مستعدًّا على دراجتكَ أمام الباب.

وضعَت «لوزة» السمَّاعة وفي رشاقة الغزال قفَزتْ إلى درَّاجتها، وانطلقَت كالصاروخ في طريقها إلى منزل «تختخ»، وَجدَته فعلًا مُنتظِرًا ... ولم تكد تقترب منه حتى رفع

يدَيه بتحيةٍ سريعة، ثم انطلقا معًا ... وفي الطريق روت «لوزة» لـ «تختخ» ما سَمِعَته من «بسمة». كانت «بسمة» تسكُن في الحي الجديد من المعادي ... وسرعانَ ما كان المغامران يقطعان الطريق إلى الفيلا الصغيرة التي تسكُنها «بسمة» مع والدَيها وشقيقها «عزيز».

وعندما وصلا إلى باب الحديقة الصغيرة، وجداهما في انتظارهما ... وتبادَلَ الجميع التحيات فقد التقَوا معًا أكثر من مرة في الرحلات.

ودخلوا الحديقة ... ولاحَظ «تختخ» أنها حديقةٌ بديعة رائعة التنسيق برغم صِغَرها فأبدى إعجابه في كلماتٍ قليلة، ثم جلس الجميع ... ولم تُضيِّع «لوزة» وقتًا؛ فقد انطلَقَت إلى هدفها قائلة: احكي لنا يا «بسمة» ما حدث.

قالت «بسمة»: اعتادت «سماء» أن تذهَب مع والدَيها كلَّ يومِ خميسٍ إلى السينما ليلًا ... وأمسِ الخميس خرجَت «سماء» مع والدها ولم تذهب والدتُها معها؛ فقد كانت مرتبطةً بموعد مع صديقةٍ لها ... لأن السينما كانت تعرض فيلمًا ناجحًا فقد وجداها مزدحمةً جدًّا ... ولم يجدا مَقعدَين مُتجاورَين. وبعد محاولاتٍ استطاعا الحصول على تذكرتَين ولكن غير متجاورتَين ... وكادا يعودان، ولكن «سماء» ألحَّت على والدها في الدخول ... وجلس الأب ... وجَلسَت «سماء» وحدَها.

بدا الاهتمامُ على وجه «لوزة» و«تختخ» ومضت «بسمة» تَرْوي: دخلا بعد أن بدأ العرض، وقام الرجل المسئول عن التذاكرِ بإجلاسِهِما في أماكنهما ... وفي الاستراحة قام والد «بسمة» وذهب إليها في مقعدها ... وأحضر لها جيلاتي ... ثم عاد إلى مقعده.

وصَمتَت «بسمة» لحظاتٍ ثم مضت تقول: ومضى الفيلم الذي كان عن الحرب العالمية الثانية ... حَفَل بالطبع بطلقات المدافع والرصاص ... وانهمك الجميع في المشاهدة ... ثم انتهى الفيلم ووَقعَت في نفس الوقت مشاجرةٌ بين بعض الأشخاص في نفس المكان الذي كانت تجلس فيه «سماء»، وعندما أسرع والدها إلى المكان الذي كانت تجلس فيه لم يَجِدْها في مكانها ... وتوقَّع أنها قامت بالانصراف للابتعاد عن المشاجرة ... ونظَر حولَه في كل مكان ... ولم يَجِدْها، فخرج من السينما وهو متوقِّع أن يجد «سماء» في انتظاره ... ولكنه للأسف لم يَجِدْها ... فخرج إلى الشارع، ولكنه لم يعثر لها على أثَر.

وتوقَّفتْ «بسمة» عن الحديث قليلًا ... وتنهَّدتْ ثم مضت تقول: وعاد الوالد إلى داخل السينما ... وأحضر بعض موظَّفي السينما وأخذوا يُفتِّشون في كل مكان ... بين المقاعد وفي دورة المياه ... ولكن لم يكن هناك أثَرٌ لـ «سماء»!

ونظَرتْ «بسمة» إلى «لوزة» التي كانت قد أَرهفَت أُذنَيها للسمع ... وعادت تقول: وعاد الأب إلى البيت وكلُّه أمل أن يجدها قد سبقَتْه إلى هناك ... ولكنه لم يَجدْها في المنزل أيضًا.

وتنهَّدتْ «بسمة» مرةً أخرى ثم قالت: وحتى الآن اختفت «سماء» ولم تظهر؟

وساد الصمت بعد هذه الجملة ... ثم تحدَّث «تختخ» قائلًا: هل أبلَغ الشرطة؟

بسمة: بالطبع أَبلغ.

تختخ: وما هي النتائج؟

بسمة: حسب القانون يبدأ البحث عن المختفين بعد ٢٤ ساعة من اختفائهم؛ لهذا فإن الشرطة ستبدأ البحث هذا المساء.

تختخ: ألم يسبق أن تحدَّثتْ «سماء» معكِ أو مع أصدقائكما، أو مع والديها عن أخطارٍ مجهولة تتعرَّض لها؟

بسمة: مطلقًا ... حتى آخر لحظةٍ رأيتُها فيها كانت مرحةً كعادتها، وكل شيءٍ يمضي على ما يُرام.

تختخ: هل انفضَّت المشاجرة أثناء وجود الوالد هناك؟

بسمة: لا أدري.

وطلب «تختخ» من «بسمة» صورة «سماء» ... وعنوانها ... ثم وقف قائلًا: سيقوم المغامرون الخمسة بالبحث عن «سماء» ... إنها قصةٌ مُشوِّقة ومؤلمة معًا ... وسنبذل غاية ما في وُسْعنا.

بسمة: أشكُركَ يا توفيق ... لقد حقَّق المغامرون الخمسة دائمًا نتائجَ باهرة في كل المغامرات التي اشتركوا فيها؟

تختخ: للأسف فإن المعلومات قليلةٌ جدًّا ... واختفاء «سماء» ... تَمَّ بطريقةٍ غريبة لم يسبق لها مثيل!

وقام «تختخ» و«لوزة» وخَرجَت «نسمة» وشقيقها لتوديعهما عند باب الحديقة، ولم يكد الأربعة يَصِلون إلى هناك حتى كانت في انتظارهم مفاجأة ... فقد توقَّفتْ درَّاجةٌ قديمة ونزل من عليها الشاويش «علي» الشهير باسم «فرقع» ولم يكَد يرى «تختخ» و«لوزة» حتى اهتَز شاربه ... واحمرَّ وجهه ... وبدا عليه الغضب ثم قال فجأة: ماذا تفعلان هنا؟ أدار «تختخ» وجهَه إلى «لوزة» وقال: ماذا كنا نفعل هنا؟

قالت «لوزة»: كنا نزور صديقنا.

قال «تختخ» مُوجِّهًا حديثه إلى الشاويش: هل الزيارة ممنوعة بحكم القانون يا حضرة الشاويش؟

قال الشاويش بعصبية: أنتَ تعرف أن القانون لا يمنع زيارة شخصٍ لآخر.

تختخ: إذن لم يحدُث شيءٌ في حدود اختصاصاتك.

الشاويش: بل حدَث ... لقد جئتُما هنا لتسألا عن سر اختفاء «سماء».

لمعَت عينا «تختخ» وابتسم قائلًا: مدهش جدًّا يا شاويش ... إنه استنتاجٌ بارع حقًّا ... لقد وقعنا في يدك!

الشاويش: طبعًا ولكن هذه المرة لن أفعل شيئًا ضدكما.

تختخ: ومتى تفعل؟

الشاويش صائحًا: سيأتي اليوم الذي تقع فيه في يدي.

تختخ: حتى ذلك اليوم السعيد ... دعنا نذهب ... ففي انتظارك مهمةٌ شاقَّة حقًّا ... أرجو لك فيها التوفيق.

وقفز «تختخ» فورًا على درَّاجتِه ... وكذلك قفَزتْ «لوزة» وانطلقا إلى منزل «عاطف» ...

بائع اللبن الصغير

كان اجتماع المغامرين الخمسة أشبه باحتفال ... فهذه أول مرة منذ شهورٍ طويلة يعودون فيها للقاء من أجل «لغز» ... وقد كانوا جميعًا في غاية الاهتمام ... وبدت «لوزة» كأنها عروس هذا الاحتفال ... فهي التي حصلَت على اللغز ... ومن حقها أن تجلسَ كما تجلسُ الآنَ لامعة العينَين ... تُحرِّك ساقَيها في جذل وابتهاج ... ولكن فرحة «لوزة» لم تدُم طويلًا ... فقد سَمِعَت «تختخ» وهو يُقدِّم لـ «عاطف» و«محب» و«نوسة» مُلخَّصًا للغز ثم يقول في النهاية: أعتقد أننا لن نستطيع أن نفعل شيئًا.

قالت «لوزة» غاضبة: كيف؟

تختخ: قولي لي أنتِ كيف نبدأ.

نظر المغامرون جميعًا إلى «لوزة» في انتظار أن تَرُد ولكنها لم تجد شيئًا تقولُه ... لقد اختفَت «سماء» في ظروفٍ غريبة ... اختفت بين مئات الناس داخل السينما ... وليس هناك مَن يمكن سؤاله عنها ... فلا أحد يعرف من الذي كان في السينما تلك الليلة ... ومَن الذين كانوا يجلسون بجوارها أو أمامَها أو خلفَها ... وفجأةً قالت «لوزة»: ما رأيُكَ في المشاجرة ... ألا يمكن أن تكون مشاجرةً مفتعلة لخطف «سماء» أثناء ضَجَّة المشاجرة؟

تختخ: هذا ممكن ... ولكن أين هم المتشاجرون؟

لوزة: لعل أسماءهم عند الشاويش «فرقع».

تختخ: هل تتصورين أشخاصًا يفتعلون مشاجرة لإخفاء حادث اختطاف ثم يذهبون إلى الشرطة للإبلاغ عن المشاجرة؟ إن هذا يشبه أن يقوم لصٌّ بسرقةٍ ما، ثم يذهب للإبلاغ عن نفسه قائلًا: أنا حرامي!

أحسَّت «لوزة» بدماء الخجل تندفع إلى وجهها ... فقد كان حديث «تختخ» حاسمًا ولا يقبل المناقشة ... وأسرعَت «نوسة» لإنقاذ صديقتها العزيزة من الحَرَج الذي أحسَّت به،

وقالت: أعتقد أن في إمكاننا البَدءَ بعد تحريات رجال الشرطة … فإذا وصلوا إلى أي خيطٍ فمن الممكن السير خلفَه حتى الوصول إلى شيء.

تختخ: هذا ما فكَّرتُ فيه … وعلينا الانتظار.

قال «محب»: هناك نقطةٌ أخرى … إن عمليات الخطف يتبعها دائمًا عمليةُ طلبِ فدية لردِّ المخطوف … وقد تقوم العصابة بطلب الفدية اليوم أو غدًا … وهذه بداية على كل حال.

تختخ: إذا حدث هذا فسيكون دور رجال الشرطة أكبر من دورنا … فعندهم الإمكانيات لمتابعة المكالمات التليفونية … ووَضْع الرقابة اللازمة على الأماكن والسيارات، وليس لدينا أي شيء من هذا.

عاطف: من الممكن أن نتابع كل هذا عن طريق المفتش «سامي».

تختخ: صحيح … ولكن بعد بداية تحرُّكاتِ رجال الشرطة وليس قبل ذلك … وليس أمامنا الآن إلا الانتظار.

نوسة: أقترح أن تقوم «لوزة» بالاتصال بـ «بسمة» للحصول منها على المعلومات التي يصل إليها رجال الشرطة أولًا بأول.

لم تَرُدَّ «لوزة» على هذه الملاحظة … فقد طاف بخاطرها شيءٌ قرَّرتْ تنفيذه … شيء ربما لا يؤدي إلى شيء، ولكنها ستقوم به … وهكذا عندما اتفق المغامرون على الانصراف والعودة للقاء في المساء … قالت «لوزة» إنها قد تتأخر قليلًا عن الاجتماع، ولم يَهْتمَّ أحدٌ بسؤالها عن السبب.

وعندما هبط المساء الصيفي الحار على المعادي … كانت «لوزة» قد ارتدَت ثيابها واستعدَّت للخروج … وعندما لاحظ «عاطف» أنها ستخرج وحدها سألها عن المكان الذي ستذهب إليه، فأجابت إجابةً غامضة، ثم انطلَقتْ على درَّاجتِها وأخذَت تسير بهدوء حتى وصلَت إلى دار سينما المعادي حيث تم اختطاف «سماء»، وأخذَت تدور حول دار السينما لحظات … كانت تفكِّر أن «سماء» اختُطفَت بطريقة لا تُمكِّنها من طلب النجدة … فمن المؤكد أن الذين خطفوها كتموا أنفاسها حتى لا تصيح في طلب النجدة … فإما أنهم كمَّموها وهذا كان سيَلفِت نظر المحيطين بها … وإما أنهم خدَّروها … نعم … لا بُد أنهم خدَّروها بطريقةٍ ما … فإذا كانوا خدَّروها … فلا بُد أنهم حملوها بين أيديهم وهم خارجون … ولكن لو حدَث أنهم حمَلوها لرآهم عمال السينما ولقالوا لوالدها عما حدث عندما سأل عنها … إذن كيف خرجَت من السينما؟ هذا هو السؤال؟

ورأت «لوزة» ... ولدًا صغيرًا في ملابسَ قديمة يقف أمام طاولةٍ صغيرة يبيع عليها الفول السوداني واللب ... وأخذَت «لوزة» تنظُر إليه ... وتُفكِّر ... ثم تقدَّمتْ منه واشتَرتِ الفول ... ثم قالت له: هل كنتَ هنا أمسِ؟

رد الولد: إنني هنا كل يوم.

لوزة: هل حضَرتَ المشاجرة؟

الولد: أيَّة مشاجرة؟

لوزة: لقد وقعَت مشاجرةٌ أمسِ داخل السينما ... هل سمعتَ عنها؟

الولد: نعم ... ولكنها انتهت على خير ... فلم تحدُث إصاباتٌ وانصرف الجميع.

لوزة: ألم يحدُث شيءٌ غير عادي؟

الولد: مثل ماذا؟

وفكرت «لوزة» لحظات ... واستعادت ما فكَّرتْ فيه عن طريقة اختفاء «سماء» وهل يمكن أن تخرج من السينما أمام عيون كل الناس دون أن يلاحظ أحد شيئًا ... وقالت للولد، دون أن يكون عندها أي أمل في إجابةٍ مفيدة: ألم تَرَ أمسِ في حفلة الساعة التاسعة فتاةً صغيرة خَرجَت من السينما في حالةٍ غير طبيعية؟

وكأنما كان الولد الصغير في انتظار هذا السؤال ... فقد بدا عليه الاهتمام المفاجئ ... وقال: نعم رأيتها.

كادت «لوزة» تفقد توازُنَها بعد هذه الإجابة غير المتوقَّعة ... وتسارعَت دقَّات قلبها وعادت تسأل كيف خرجَتْ؟

ردَّ الولد: كنت أستعد لمغادرة المكان، واتَّجهْتُ إلى هذا الدكان عند مدخل السينما لأضعَ الطاولة عندما رأيتُ شخصَين يسندان بنتًا بين أيديهما ... وكان أحدهما يقول: إنها مُتعَبة ... ويجب نقلُها إلى المستشفى.

لوزة: وهل كان يبدو عليها التعبُ حقيقة؟

الولد: نعم ... كانت شديدةَ الشحوب.

لوزة: هل تعرف هذه الفتاة؟

الولد: نعم أعرفها ... ولكني لا أعرف اسمها ... لقد اعتادت كلما جاءت لدخول السينما أن تشتري مني اللب والفول السوداني.

تأكَّدتْ «لوزة» أن الفتاة ليست سوى «سماء» فهي تُحب السينما وتأتي تقريبًا كل أسبوع لمشاهدة الأفلام مع والدَيها ... وسألَت «لوزة» الولد الصغير: وكيف نقلَها الرجلان؟

الولد: كانت هناك سيارة في الانتظار ... وقد أخذتُ رقمها.

لوزة: أنتَ ولدٌ مدهش!

الولد: لقد اعتدتُ أن أرى هذه الفتاة مع والدَيها ... وأدهَشَني أن تخرج مع شخصَين لا يعرفانها وفي حالةٍ غريبة دون أن يكون معها أحد والدَيها ...

لهذا أخذتُ رقم السيارة.

لوزة: هل هو معك؟

الولد: نعم ... هناك شيءٌ آخر.

لوزة: ما هو؟

مد الولد يده إلى جيبه وأخرج قطعةً صغيرة من الورق، مد يده بها إلى «لوزة» قائلًا: هذا هو رقم السيارة.

ثم أخرج ورقةً أخرى مقطوعة من أحد أكياس اللب البيضاء ودفع بها إلى «لوزة» قائلًا: هذه الورقة سقطَت من يد الفتاة عند خروجها من السينما.

تناولَت «لوزة» الورقة في لهفة ... كانت مُكرمَشةً تمامًا ... وفتحَتْها بأصابعَ مرتعدة ... ووجدَت بعض كلماتٍ قليلة مكتوبة ... ولكن من الصعب قراءتها ... فوضَعَت الورقة في جيبها وقالت للولد: أشكرك كثيرًا ... إن الفتاة التي رأيتها تُدعَى «سماء» وهي صديقتي ونحن نبحث عنها.

قال الولد بذكاء: لقد أدركتُ أن شيئًا غير طبيعي يحدث ... ولكن لم يكن يمكنني التصرف.

لوزة: لقد قمتَ بأكثر مما هو مطلوبٌ منكَ ... وقد نستطيع عن طريقكَ أن نعثر على «سماء» ... ومِن المؤكد أنكَ ستنال من والدَيها مكافأةً مجزية.

وانطلَقتْ «لوزة» على درَّاجتِها والدنيا لا تتسع لفرحتها ... وكان الظلام قد هبط على المعادي، وأُضيئَت الأنوار ... وسرعانَ ما وصلت «لوزة» إلى حيث اجتمع الأصدقاء ... كانوا يجلسون في الحديقة، وكانوا صامتين ... وما كادت «لوزة» تدخل حتى قال «عاطف»: ماذا حدث ... لماذا تأخَّرتِ عن موعد الاجتماع؟

جلسَت «لوزة» في أحد المقاعد دون أن تَرُد ... كانت تحمل كَنزًا من المعلومات وكانت تريد أن تستغل هذا الكَنْز، فقالت: السبب أن هناك معلوماتٍ جديدة.

رد «محب»: لا ... لقد اتصلنا بالمفتش «سامي» وقال إنه ليس لديه معلوماتٌ عن خطف «سماء» ولكن رجاله سوف يبدءون البحث فورًا.

كان «تختخ» يتأمل «لوزة» على طريقته في الاستنتاج ... وقد عرف أن المُغَامِرة الصغيرة تحمل معلوماتٍ مهمة ... وابتسم وهو يقول لها: هاتِ ما عندك.

احمرَّ وجه «لوزة» فقد عرفَت أن «تختخ» كشف سرها، وقالت: ماذا تتوقع؟ ...

تختخ: أتوقَّع أن يكون عندك بعض الأخبار الهامة ... بل بعض الأدلة أيضًا.

لوزة: يا لكَ من خبيث!

نوسة: إنكما تتحدَّثان بغموض ... ما هي الحكاية؟

تختخ: الحكاية أن «لوزة» ذهبَت إلى مكانٍ ما ... ربما دار السينما ... وحصلَت على معلومات عن اختفاء «سماء» ... ولكنها تُريد أن تعذبنا قليلًا.

التفَت الجميع إلى «لوزة» وفي نفس الوقت أحسَّت بـ «زنجر» العزيز يقترب منها ثم يجلس تحت قدمَيها، فمدَّت يدها تُداعب رأسه، ثم قالت: نعم ... عندي معلوماتٌ على جانبٍ كبير من الأهمية.

وصَمتَت لحظات، ثم مضت تقول: لقد قابلتُ شخصًا رأى «سماء» وهي خارجة من دار السينما ... كانت شاحبة ومتعبة جدًّا ... وكان هناك رجلان أخذاها في سيارةٍ سوداء.

وصَمتَت «لوزة» مرةً أخرى ... ولمعَت عيون المغامرين ... ونبَح «زنجر» ...

بداية مغامرة

لم يُعلِّق أحدٌ على ما قالَتْه «لوزة» فمضت المُغامِرة الصغيرة وقد احمرَّ وجهها تُكْمل قصتها المثيرة: وقد استنتج هذ الشخص ... وهو ولدٌ صغير ... أن الأمور ليست عادية ... لأنه يعرف «سماء» فالتقط رقم السيارة.

قال «عاطف» محاولًا إطفاء حماسة «لوزة»: إن هذا دليلٌ قليل الأهمية ... فأكثر أرقام السيارات التي يستخدمها اللصوص وعصابات الخطف تكون مُزيَّفة ... أو تكون هذه السيارات مسروقةً من أصحابها الأصليين.

لم ينطفئ حماس «لوزة» ومضت تقول: لقد وضَعتُ ذلك في اعتباري ... وتوقَّعتُ أن يقول أحدكم هذا ... ولكنَّ هناك دليلًا آخر في منتهى الأهمية!

وسكتَت «لوزة» لحظاتٍ وهي تدير عينَيها في وجوه المغامرين الأربعة ثم مضت تقول: لقد عثر هذا الولد على ورقةٍ سقطَت من يد «سماء» وهي خارجة من السينما.

ودون أن تنتظر تعليقًا على هذا الكلام، مدَّت يدها في جيبها ثم أخرجَت الورقة ولوَّحتْ بها أمامهم، وقالت: وهذه هي الورقة.

وتعلَّقتِ العيون كلها بالورقة، ودون أن تنظر فيها «لوزة» مدَّت يدها بها إلى «تختخ» وقالت: وعليكم الآن أن تجدوا في هذه الورقة دليلًا يقودنا إلى طَرَفِ الخيط في هذه القضية الغامضة.

أمسك «تختخ» بالورقة في يديه لحظات، ثم رفعها أمام عينَيه ... وظل لحظاتٍ ينظر إليها ... ثم أدارها ونظر في ظهرها، ثم عاد ينظر إليها مرةً أخرى، ثم قال بصوتٍ بائس: ليس في الورقة شيء يمكن أن يكون دليلًا.

هبط حماس «لوزة» إلى درجة الصفر ... ونظَرتْ إلى «تختخ» غير مُصدِّقة ومدت يدها قائلة: لقد كان عليها بضع كلمات!

تختخ: آسف … لقد هبط الظلام والضوء ليس كافيًا في الحديقة … هيا ندخل إلى الكشك الصيفي.

وأسرع الجميع يدخلون، وأضاء «عاطف» ضوء المصباح القوي المُدلَّى من السقف، ودار الجميع حول «لوزة» التي أمسكَت الورقة تحت الضوء، وأخذَت تحاول معرفة ما هو مكتوب عليها … كانت هناك بعض خطوطٍ مكتوبة باللون الأسود … غليظ ولكنه خفيف … وواضح أنها مكتوبة بيدٍ مرتعدة … وبأداة ليست قلمًا على الإطلاق … وأحسَّت «لوزة» بقلبها يدُق في عنف … ليس هناك في الورقة ما يمكن قراءته … ولكن «تختخ» تَدخَّل سريعًا، وأمسك بالورقة، وفردها جيدًا بين أصابعه ثم رفعها إلى الضوء، واستمر يُحدِّق فيها لحظات، ثم قال: هناك ثلاث كلمات يمكن قراءتها.

واستعادت «لوزة» حماسها، وقالت: اقرأها …

قال «تختخ»: هناك كلمة يمكن أن تكون … ركن … ركن …

نوسة: ركن … أي زاوية.

تختخ: والكلمة الثانية يمكن أن تكون … حلـ … حلو …

صاح «محب»: حلوان … ركن حلوان …

تختخ: بالضبط … ركن حلوان!

صاحت «لوزة» بفرحة: ركن حلوان … إن العصابة هناك!

عاطف: ما هي الكلمة الثالثة …

تختخ: ربما تكون … ساعة.

لوزة: إنها تُحدِّد الوقت.

تختخ: ولكن بعد ذلك لا شيء، خطٌّ واحد … ثم انتهى.

لوزة: لعلَّها لم تتمكن من تكملة الكلمة.

وضع «تختخ» الورقة على أنفه وشمَّها بقوة ثم قال: هل تعرفون القلم الذي كُتبَت به هذه الورقة؟

لم يَرُد أحد … فمضى «تختخ» يقول: إنه قطعةٌ صغيرة محروقة من الفول السوداني، لقد كانت «سماء» تأكل الفول السوداني الذي تُحبه، واستعملت حبةً محروقة من الفول لتكتب هذه الكلمات.

نوسة: يا لها من فتاةٍ ذكية!

تختخ: لحسن الحظ أن الورق أبيضُ فساعَد على ظهور الكلمات!

لوزة: هل يكفي هذا الدليل لنبدأ العمل؟

تختخ: سنحتاج لبعض التفكير ... يجب أن نحاول استنتاجَ ما حدث في دار السينما، حتى نتمكن من متابعةِ ما حدث بعدها.

وساد الصمت بعد هذه الجملة ... وكان كلٌّ من المغامرين الخمسة يحاول أن يتصوَّر ماذا يمكن أن يحدث في ظلام دار السينما ... وكيف تم خطف «سماء» وبالطبع لم يكن في إمكانهم معرفة سبب الخطف مطلقًا ... إلا إذا كانت عصابةٌ تُريد فديةً من أُسرة «سماء» وذلك لن يتضح إلا بعد أن تتصل العصابة بأُسرة «سماء» ...

تحدَّثتْ «نوسة» قائلة: إننا بالطبع لا نستطيع تحديد الهدف من خطف «سماء» ولكني أتصوَّر طريقة الخطف ... من خلال الوصف الذي قدَّمه الولد الصغير لحالها وهي خارجة، يمكن أن أتصوَّر أن الخاطفين قاموا بتخديرها!

عاطف: ولكن كيف يمكن تخدير شخص دون مقاومة؟

تختخ: ذلك أمرٌ سهل ... فمن الممكن بواسطة حقنة تُعطَى فجأة وبها كميةٌ كبيرة من المخدر أن يُصاب الشخص بالتخدير في دقائقَ قليلة!

عاطف: في هذه الحالة فإن تصوُّر «نوسة» لخطف «سماء» هو التصوُّر الوحيد الممكن.

تختخ: إن ما أُفكِّر فيه هو ... هل كانت العصابة تتبع «سماء» حتى دخولها السينما ثم قامت بخطفها؟

محب: وهل هناك احتمالٌ آخر ...؟

تختخ: نعم ... يمكن أن يكونوا قد خطفوها بالمصادفة.

التفت الجميع إلى «تختخ» مندهشين، وقالت «لوزة»: كيف يتم الخطف بالمصادفة؟ ... إن عملية الاختطاف عادةً عمليةٌ مُدبَّرة.

تختخ: هذا صحيح في ٩٩٪ من الحالات ... ولكن حالة «سماء» هذه تبعث على الحَيْرة بسبب أن الخاطفين قاموا بخطفها من قلب السينما وحولهم مئات من الناس ... كلٌّ منهم يمكن أن يُنقِذ الفتاة، ولو اكتُشِف أمر الخاطفين داخل السينما لما استطاع أحدٌ منهم الفِرار ... فيكفي إغلاق الأبواب، وإضاءة الأنوار للقبض عليهم ... خاصة أن أحد رجال الشرطة دائمًا موجودٌ بدار السينما للمحافظة على النظام.

كان حديث «تختخ» منطقيًّا جدًّا ... وبدا للمغامرين بعد هذا التحليل أن عملية الخطف فعلًا تمَّت بالمصادفة، خاصة بعد أن عاد «تختخ» يقول: إنني أعتقد أن هؤلاء الرجال الذين خطفوا «سماء» قد خطفوها مُضطَرِّين.

علَت الدهشة وجوه المغامرين «الخمسة» ... كيف يمكن أن يقوم شخصٌ بخطف شخصٍ آخر مضطرًّا؟!

وكأنما أدرك «تختخ» ما يدور في أذهانهم فقد أجاب على الفور: ربما رأت «سماء» شيئًا أو سَمِعَت شيئًا لم يكن لها أن تسمعه ... واضطُرت العصابة إلى خطفها لهذا السبب حتى لا ينكشف سرهم.

بدا هذا التوضيح معقولًا ... إلا في حالةٍ واحدة، إذا اتصل الخاطفون بأُسرة «سماء» وطلبوا فدية ... وهكذا تنهار هذه النظرية من أساسها.

قال «محب» مندفعًا بشعور المُغامِر: إننا نُضيِّع وقتنا في تحليل الحادث ... المهم الآن أن نتحرك ... فعندنا مكانٌ يجب أن نذهب إليه.

تختخ: أتقصد ركن حلوان؟

محب: طبعًا ... لا بُد أن في هذا الركن شيئًا دفع «سماء» إلى أن تكتب هذه الرسالة.

لوزة: معك حق يا «محب» المهم الآن ركن حلوان!

تختخ: أعتقد أننا لن نذهب ليلًا.

محب: على العكس ... إن الليل والظلام خيرٌ لنا من النهار.

تختخ: ولكن يجب إبلاغ ...

وقبل أن يتم «تختخ» جملته دَقَّ جرس التليفون، كان المتحدِّث هو المفتِّش «سامي» وتحدَّث «تختخ» إليه ... قال المفتش: حتى الآن لم تتصل عصابة المختطفين بأُسرة «سماء»، ويبدو لي أن الاختطاف تم لأمرٍ آخر غير الفدية.

تختخ: هذا ما توقَّعناه.

المفتش: هل وصلَتكُم معلوماتٌ عن حادث الاختطاف غير ما نعرفه؟

تختخ: نعم ... هناك معلومات على جانبٍ كبير من الأهمية ... فقد استطاعت «لوزة» العثور على شخصٍ شاهد «سماء» وهي خارجة من داخل السينما إلى سيارة سوداء.

المفتش: مدهش ... إن هذه المغامرة الصغيرة لا مثيل لها!

تختخ: أكثر من هذا ... لقد حصلَت منه على رقم السيارة التي نُقِلَت إليها «سماء» وعلى ورقةٍ صغيرة سقطت من يد «سماء»، مكتوبة بحبة من الفول السوداني المحروق ورقم السيارة هو ٢٨٩٦٩ ملاكي جيزة.

المفتش: وماذا في الورقة؟

تختخ: ثلاث كلمات ... ركن حلوان الساعة ... ثم لا شيء.

المفتش: إنها معلومات على جانبٍ كبير من الأهمية ... وأريد أن أراكم غدًا صباحًا لمناقشة هذه المعلومات ... وأرجو أن تحتفظوا بالورقة، وأن تُبلغ «لوزة» تحياتي وإعجابي، وبالطبع سنبدأ البحث فورًا بناءً على هذه المعلومات.

وانتهت المكالمة. وقالت «نوسة»: إن الشرطة سوف تتولَّى كل شيء ... ولم يعُد لنا ما نفعله.

تختخ: طبعًا ... إن رجال المفتش «سامي» سوف ينتشرون في كل مكانٍ للبحث عن السيارة وبالطبع سيُحاصِرون ركن حلوان.

محب: إن ظهور رجال الشرطة هناك سوف يُنبِّه العصابة، وأعتقد أنهم سيتصرَّفون بحيث يبتعدون عن الركن بأسرعِ ما يمكن.

تختخ: لا أعتقد أن المفتش «سامي» سيكون من السذاجة بحيث يكشف عن وجود رجاله هناك، ولا بُد أنهم سيرتدون الملابس العادية حتى لا ينكشف أمرهم.

محب: الآن ما هي خطَّتنا؟

تختخ: لا خطَّة حتى نلتقي غدًا بالمفتِّش «سامي» هنا ... فقد طلب أن نعقد اجتماعًا غدًا لمناقشة الموقف من جميع جوانبه.

وأحَسَّ الجميع أن الاجتماع قد انتهى عند هذا الحد ... وبدءوا ينصرفون ... وقام «زنجر» يتثاءب خلف «تختخ» الذي ركب درَّاجتَه ومضى ... ولكن بدلًا من أن يتجه إلى منزله ... وجد نفسه يستدير ناحية منزل «سماء». كان في ذهنه خطةٌ غامضة ... أحد أبطالها «زنجر» وعندما وصل إلى الفيلا الصغيرة الحزينة توقَّف أمامها لحظاتٍ وهو يُفكِّر، ثم أدار بدَّالَ درَّاجتِه واتجه إلى باب الحديقة.

مغامرةٌ ليلية …

وصل «تختخ» إلى باب الفيلا … كان كل شيء هادئًا يُنبئ بالحزن الجاثم على الفيلا الصغيرة، والتفَت «تختخ» إلى زنجر قائلًا: سننتظر هنا قليلًا.

وربض «زنجر» بجوار الباب … ودق «تختخ» الجرس ووقف ينتظر … ومضت مدةٌ ليست قصيرةً قبل أن يُفتح الباب فتحةً صغيرة … وظهر وجه سيدةٍ جميلة يبدو عليه الحزن. ونظَرتْ إلى «تختخ» في تساؤل ودهشة … قال «تختخ»: اسمي توفيق … وقد كنت صديقًا لابنتكم «سماء».

قالت السيدة: إن «سماء» ليست هنا.

تختخ: أعرف ذلك … إنني أساعد في البحث عنها.

امتلأَت عينا السيدة بدموعٍ حاولَت أن تُخفِيَها بيدها، فأسرع «تختخ» يقول: آسف جدًّا يا سيدتي … إن الوقت ليس مناسبًا للزيارة … ولكن هناك بعض الأمل في العثور على «سماء».

بدت فرحةٌ طاغية أسالَت الدموع التي وقفَت في العينَين، وقالت السيدة بصوتٍ مرتعد: أمل … كيف؟ … هل علِمتَ شيئًا عنها؟

تختخ: أشياءُ قليلة يا سيدتي … ولكنها تبعث على الأمل.

السيدة: هل أبلغتَ الشرطة؟

تختخ: نعم … تحدَّثتُ إلى المفتش «سامي» منذ قليل.

بدا على السيدة الخجل، وقالت: آسفة أن أتركك واقفًا … تفضَّل.

وفتَحَت الباب، ودخل «تختخ»، وزمجر «زنجر» … فقال «تختخ» … مُوضِّحًا: إنه كلبي «زنجر».

عندما دخل تختخ إلى الفيلا ... شاهد رجلًا يقف في الصالة ... وأدرك على الفور أنه والد «سماء». أسرعَت السيدة تُوضِّح الموقف قائلة: إنه صديق «سماء» ... إن عنده أخبارًا لنا!

بدَت على وجه الرجل علاماتُ أملٍ ضئيل، فأسرع «تختخ» يقول: أرجو ألا أكون قد أزعجتكما ولكني ومجموعة من أصدقائي سنبحث عن «سماء».

تحدَّث الرجل لأول مرة ... كان حديثه خافتًا، وقال: أنتَ «توفيق خليل» الشهير باسم «تختخ»؟

تختخ: نعم يا سيدي ... أنا هو.

الرجل: وأنت وأصدقاؤك تُسمُّون أنفسكم المغامرين الخمسة؟

تختخ: بالضبط يا سيدي.

الرجل: تفَضَّل يا بُني ... لقد سمِعتُ عنكم كثيرًا ... وسمعتُ أنكم نجحتم في حل كثيرٍ من الألغاز والقضايا الغامضة.

تختخ: إننا نفعل ما بُوسعِنا لنصرة العدالة.

الرجل: هل عندكم معلومات عن «سماء»؟

تختخ: نعم ... سيأتي المفتش «سامي» غدًا لمقابلتنا، وسأطلب منه أن يزوركما ويتحدَّث معكما عن هذه المعلومات ... إنه أدرى مني بما يجب أن يُقال.

الرجل: شكرًا لكَ يا بني ... هل نستطيع المساعدة بشيء؟

تختخ: نعم ... أريد شيئًا من ملابس «سماء»، من الأفضل ألا يكون مغسولًا.

بدَت الدهشة على وجهي الأب والأم، وأسرع «تختخ» يُوضِّح سبب هذا الطلب: إن كلبي «تختخ» كلبٌ مُدرَّبٌ على اقتفاء الأثر ... وربما استطاع إذا شَمَّ شيئًا مثل منديلٍ أو شيء من هذا القبيل أن يُساعِدنا في البحث عن «سماء».

قالت الأم: عندي منديلان لها لم يُغسلا بعدُ ... أليس هذا يكفي؟

تختخ: يكفي جدًّا يا سيدتي، خاصةً أنهما لم يُغسَلا ...

قال الأب: تفضَّل بالجلوس.

تختخ: لا داعي لإزعاجكما أكثر من هذا.

أسرعَت السيدة العجوز إلى الدَّور العُلوي في الفيلا لتحضر المنديلَين، في حين قال الأب: ما هي طبيعة المعلومات التي وصلتُم إليها؟

تختخ: هناك بعض الدلائل تشير إلى الأسلوب الذي تم به خطف «سماء».

قال الأب باندفاع: قل لي ماذا تعرف؟

قال تختخ كل ما عنده من معلومات عن «سماء» ثم قال: وهناك احتمال أنها نُقِلَت إلى مكانٍ ما ... أو أن الأشخاص الذين خطفوها يعيشون في هذا المكان ... إنه احتمالٌ ضعيف ... ولكننا سنحاول.

الأب: أرجو ألا تُعرِّضوا أنفسكم للخطر.

تختخ: لقد اعتَدنا على المخاطر ... ولكن على كلِّ حالٍ لا أعتقد أن هناك خطرًا على الإطلاق ...

عادت الأم تحمل المنديلَين في يدها ... وقد عادت دموعها تنهمر من جديد ...

وأحَسَّ «تختخ» بالحرج الشديد ... وأسرع يتناول المنديلَين وينطلق مسرعًا خارجًا وهو يودِّع الأب والأم في كلماتٍ متعثرة.

عندما وقف وحيدًا في حديقة الفيلا الصغيرة مرةً أخرى، أخذ نفسًا عميقًا، وأخذ يدير النظر حوله ... كانت الظلمة قد اشتدَّت كثافتها في ليلةٍ غاب عنها القمر ... وأخذ يُفكِّر ... هل يذهب لتنفيذ ما فكَّر فيه أولًا ... أو ينتظر لقاء المفتش «سامي».

وأحَسَّ بدماء المغامرة تغلي في عروقه ... وتحدَّث إلى «زنجر» قائلًا: اسمع يا «زنجر» ... أمامنا مغامرة أنا وأنتَ ... المسافة بعيدة، والمسألة خطيرة، هل تذهب أو لا تذهب؟

ردَّ «زنجر» على هذا التساؤل بزمجرة ... كان يعلن فيها أنه أكثر من موافق ... ولم يتردَّد «تختخ» بعدها ... دسَّ المنديلَين في جيبه، ثم قفز إلى درَّاجتِه ... وسرعان ما كان يجتاز شوارع المعادي الهادئة حيث مرَّت به عشرات المغامرات ... وأخذ يزيد من سرعته حتى وصل إلى كورنيش المعادي ... ثم عاد يُهدِّئ من سرعته مرةً أخرى ... كان المشوار أمامه طويلًا ... نحو خمسة عشر كيلومترًا والعودة ... أي إن عليه أن يقطع في هذه الليلة ثلاثين كليومترًا على الدَّراجة ... وفكَّر أن المسافة طويلة على «زنجر» أيضًا فتوقَّف ونزل، وقال لـ «زنجر»: من الأفضل أن تركَب الدرَّاجة معي.

ومد يدَيه ليدفع «زنجر» إلى السلة في نهاية الدرَّاجة ... ولكن المدهش أن الكلب الأسود الذكي ابتعد هاربًا ... قضى فترةً طويلة في كسل ... وهو ينتهز الفرصة ليجري ... لهذا رفض أن يركب ... وتركه «تختخ» كما يريد ... وأكمل طريقه ...

كان طريق الكورنيش مزدحمًا بعض الشيء، فلم تكن الساعة قد تجاوزَت التاسعة ليلًا ... والسيارات تنطلق بسرعةٍ كبيرة كأنها في سباق ... وبعض سكان المعادي قد خرجوا للنزهة على شاطئ النيل ... واسترواحِ نسماتِ الليل في هذا الجزء الجميل من القاهرة.

مضى «تختخ» يسير بهدوء ... وبين لحظة وأُخرى تطوف بذهنه المعلومات التي حصلَت عليها «لوزة» ويفكِّر ... ألا يمكن أن يكون «ركن حلوان» كلمةً عابرة في حديث

الرجلَين لا تؤدي إلى شيء؟ في هذه الحالة يكون قد تسرع في بث الأمل في نفس الأب والأم ... وتكون هذه الرحلة التي يقوم بها الليلة عبثًا لا معنى له ... ومع ذلك كان في قلبه شعورٌ غامض أنه سيجد شيئًا في ركن حلوان ... شيئًا يَرُد «سماء» إلى والدَيها ... ويكشف الستار عن سبب خطفها. وبعد نحو ساعة بدأ يقترب من طريقٍ متعرج ... أحدهما يؤدي إلى مدينة حلوان نفسها والآخر يؤدي إلى ركن حلوان ... هذا الكازينو الجميل الذي كان ملتقى الطبقات الراقية في مصر قديمًا ... والآن يذهب إليه كل الناس ... خاصة هؤلاء الذين يحبون الهدوء، ويريدون أن يستمتعوا بمرأى النيل حيث يدور هادئًا ويتجه إلى القاهرة.

كان فرع الطريق المؤدي إلى ركن حلوان نصفَ مُضاء ... ولم تكن فيه ضجَّة السيارات التي نزل أصحابها إلى ركن حلوان ... واختار شجرةً ضخمة على يمين الطريق، ووضع خلفها درَّاجتَه، ثم التفت يبحث عن «زنجر» ... فلم يكُن يراه في الظلمة التي تحت الشجرة، لولا أنه أحَسَّ به يتَمسَّح في قدمَيه.

قال «تختخ» وهو يخرج المنديلَين من جيبه: في هذَين المنديلَين رائحةُ فتاةٍ يا «زنجر»، فتاة خطفها بعض الأشقياء، هل تشمُّها ثم تنطلق؟

وقرَّب «تختخ» المنديلَين من أنف «زنجر» الحسَّاس الذي أخذ يشمُّهما قويًّا ثم وقف مكانه لا يتحرك لحظات ... ومضى «تختخ» ... وتحرك «زنجر» خلفه، وبدأ أول شيءٍ في مهمته ... دار حول السيارات الواقفة يبحث عن سيارةٍ سوداء لها نفسُ الرقم الذي معه ٢٨٩٦٩ ملاكي جيزة ... ولكن لم تكن هناك سيارةٌ واحدة تحمل هذا الرقم ... وقد كان هذا متوقَّعًا.

دخل «تختخ» إلى حديقة الكازينو ... كانت واسعةً تُشبِه نصف دائرة اصطفَّت فيها عشرات المقاعد ... وقد أُضيئَت الأشجار بلمباتٍ خافتة الضوء ... وسار بين المقاعد لا يدري إلى أين يتجه ... كان هناك المبنى الرئيسي للكازينو حيث تُوجَد صالات الجلوس والطعام والمطابخ وغيرها ... وكان أمام المبنى نازلًا إلى أسفلِ سُلَّم من الحجر يؤدي إلى ساحةٍ واسعة على النيل مباشرة، حيث يُفضِّل أغلب الناس النزول للجلوس فيها ليكونوا قريبين من النيل.

لم يكن «ركن حلوان» مزدحمًا كما توقع «تختخ» فلم يكن هناك على المقاعد أكثر من عشرين شخصًا في الحديقة الواسعة التي تتسع للمئات ... واتجه «تختخ» إلى السلم الحجري ونزل ... لم يكن يبحث عن شيءٍ معيَّن ... وأخذ ينظر هنا وهناك في وجوه الجالسين دون أن يرى في أيٍّ منهم ما يريب.

اختار «تختخ» كرسيًّا بعيدًا وجلس ... كان يُحِس بأن ساقَيه تؤلمانه ... وأنه في حاجة إلى الراحة ... وجاء الجرسون سريعًا ... وطلب «تختخ» زجاجة من الكوكاكولا ومدَّ ساقَيه أمامه وأخذ يتأمل النيل ... كان كل شيءٍ حوله هادئًا لا يمكن أن يشعر أي شخصٍ بأن هناك جريمة خطف قد وقعَت، وأن هذا المكان هو المكان المرشَّح للمغامرة.

مضت نحو ساعة دون أن يحدُث أي شيء ... وأحس «تختخ» أنه كان مخدوعًا، فقد أضاع ثلاث ساعاتٍ عقيمة ولا معنى لها ... وأحس بشيء من الحرج لأنه سيُضطَر بالطبع لإخبار المغامرين بما فعل ... وسوف يتعرض لموجة من الهجوم ... أولًا لأنه أخفى ذهابه عنهم ... ثانيًا أنه لم يجد شيئًا ... والحقيقة أنه شاء أن يُبعدَهم عن موطن الخطر ... فعصابات الخطف من أخطر العصابات وأشرسها ... لأن جريمة الخطف جريمةٌ خطيرة، وعقوبتها كبيرة؛ لهذا فإن سقوط عصابة خطف في أيدي رجال الشرطة معناه القضاء عليهم إلى الأبد.

وقرَّر «تختخ» أن يقوم ... وبدأ يشير إلى الجرسون للحضور ... وكان أغلب زوار الكازينو قد انصرفوا ... وبدا المكان خاليًا موحشًا ... وفجأةً تَذكَّر «تختخ» كلبه الذكي «زنجر» أين ذهب هذا الكلب العجيب؟ لقد كان معه تحت الشجرة عند مدخل الكازينو ودخل ونَسِيَه، فأين ذهب؟

وجاءت الإجابة بأسرعَ مما توقَّع ... فقد لاحظ أن الجرسون يُحاول إبعاد كلب صائحًا: اخرج ... امشِ.

وسَمِع زمجرة «زنجر» فأسرع إلى الجرسون قائلًا: من فضلك اتركه ... سنُغادِر المكان فورًا ... وأسرع «زنجر» إلى «تختخ» ... كان جسدُه يرتعد كعادته كلما عثَر على صيدٍ ثمين ... وأدرك «تختخ» أن «زنجر» ... عثَر على شيء ... هل هذا يَعْني أن «سماء» موجودةٌ فعلًا في مكانٍ ما من ركن حلوان؟

فأر في المصيدة

على الضوء الخافت تلاقت عينا «تختخ» بعينَي «زنجر» ... كانت في عينَي الكلب الذكي نظرةٌ تدُل على أهميةِ ما عثَر عليه ... وفي نفس الوقت على حَيْرته الشديدة ... كانت النظرات هي لغة الحديث بين «تختخ» و«زنجر» ... وقد تمرَّنا على الحديث كأنهما يستخدمان الحوار الناطق.

وتَبِع «تختخ» «زنجر» الذي سار حتى مدخل الكازينو ... ثم مَرَّ عَبْر المقاعد المتناثرة في الحديقة الخلفية حتى وصل إلى مجموعة الأشجار العتيقة التي هناك ... ودار «زنجر» حول شجرةٍ منها ثم استمر يسير في الاتجاه المضاد لمدخل الكازينو ... ومن هناك سار عَبْر طريقٍ ممتلئ ببقايا الأشجار المقطوعة ... وأوراق الشجر المتناثرة ... ثم انحرف يمينًا في اتجاه شاطئ النيل وسار في طريقٍ مُترب ينحدر تدريجيًّا ناحية الشاطئ ... وعلى الضوء الخافت القادم من الكازينو شاهَدَ «تختخ» على مقربةٍ من الشاطئ شَبحَ كوخٍ صغير ... وأَحَس «تختخ» بنبض قلبه يرتفع ... هل تكون ضربة حَظٍّ ويَجِدُ «سماء» في هذا الكوخ؟

توقَّف قليلًا ووضع يدَه على رأس «زنجر» ليهدأ ... ثم تقدَّم في هدوء حتى وصل قرب الكوخ ... وأرهف السمع. لم تكن هناك أصواتٌ على الإطلاق ... ولم يستمع إلا لصوت السيارات على الكورنيش البعيد.

اقترب «تختخ» أكثر حتى قرُبَ من الكوخ ... كان مظلمًا لا يصدر منه أي بصيصِ ضوء ... وضع أُذنَه على الباب واستمع ... ثم دار حول الكوخ مستمعًا دون أن يسمع شيئًا، وتأكَّد في النهاية أنْ لا أحد فيه ... ولكن «زنجر» كان يُلصِق أنفه بالكوخ ويقفز. فماذا داخل الكوخ؟ هل تكون «سماء» نائمة فيه؟

وضَع «تختخ» يده على الباب يختبره، كان مغلقًا ... واستطاع أن يتحسَّس مكان القفل، ثم أخرج كشَّافه الصغير وأطلق خيطًا من الضوء على القفل ... كان من نوعٍ عادي، فأخرج مجموعة أدواته الدقيقة، ثم عالج القفل، وفي لحظاتٍ كان مفتوحًا في يده.

دفع الباب بهدوء، فأصدر صريرًا عاليًا انزعَج له ... وتوقَّف لحظاتٍ يستمع ولكن لم يحدُث شيء، فدخل الكوخ بخطواتٍ ثابتة وهو يُدير خيطًا للضوء الرفيع في المكان ... كان هناك بضعةُ مقاعدَ قديمةٍ من الخشب ... بعضها يقف على ساقَين أو ثلاث سيقان ... وفي الجانب الآخر فِراشٌ من القش ... وبجواره منضدةٌ صغيرة عليها آثار طعام ... اقترب منه «تختخ» وأمسك بالبقايا وشمَّها ... كان الطعام طازجًا، وهذا دليلٌ على أن تَنَاوُلَه لم يمُرَّ عليه كثير ... وعلى الأرض كان ثَمَّةَ موقدُ كيروسين عليه أدواتُ إعداد الشاي، وسمع «تختخ» حركة بجواره، وأحس بـ «زنجر» يحتكُّ به ... وأطلق «تختخ» شعاعه الرفيع على «زنجر»، وبين الأسنان البيضاء اللامعة وجد «تختخ» فردةَ حذاءٍ صغيرة لفتاة، لم يشُكَّ لحظةً واحدة أنها لـ «سماء».

مد «تختخ» يده فتناول فردة الحذاء ... وأخذ يتأمَّلُها في الضوء، ووجد أنها تصلُح لفتاة عمرها بين ١٢ و١٣ سنة ... وهذه سن «سماء» بالتقريب ... وأدرك «تختخ» أنه عثَر على أثَرٍ هام، واستدار ليخرج ... ولكن في هذه اللحظة سمع أصواتًا تقترب من الكوخ، وقبل أن يتحرك من مكانه سمع صوت رجلَين يتجادلان ... كان أحدهما يقول للآخر: لقد تركتَ باب الكوخ مفتوحًا.

رد الآخر: أبدًا، لقد أغلقتُه ... إنني أتذكَّر جيدًا أننا بعد أن أخرجنا البضاعة من الكوخ أنني أغلقتُه، وهذا هو المفتاح.

أدرك «تختخ» أنه وقع في فخ ... ولم يكن أمامه إلا قرارٌ واحد ... الاختباء فورًا تحت الشيء الوحيد في الكوخ ... الفِراش ... وسرعان ما كان يندَس تحته، ولم يكَد يتوارى حتى دخل الرجلان الكوخ ... ولا يدري «تختخ» أين ذهب «زنجر»، ولعله أدرك أن صاحبه لا يريد الاشتباك مع الرجلَين فاختفى في مكانٍ ما ... خاصة أن لونه الأسود يجعل رؤيته في الظلام مستحيلة.

دخل الرجُلان الكوخ في نفس اللحظة التي اختفى فيها «تختخ» تحت الفِراش ... كانت المسافة بين أرض الكوخ والفِراش ضيقة ... استطاع «تختخ» بالكاد أن يحشُر نفسه فيها ... وأحس باشمئزازٍ شديد، فقد كانت رائحة العفونة تحت الفِراش لا تُطاق ... أكثر من هذا، أحس «تختخ» بشيءٍ طري يجري على جسده، وكاد يصيح فقد ظنَّه ثعبانًا ...

ولكنه اتضَح أنه فأرٌ صغير مذعور أخذ يجري هنا وهناك ... ويقفز على قَدمَي «تختخ» وذراعَيه ... وفي نفس الوقت كان أحد الرجلَين قد جلس على الفِراش في حين انهمك الآخر في إشعال موقد الكيروسين، وقال أحدهما معلقًا: لعل الخواجة حضر بعد خروجنا، وفتح الكوخ ... إن معه مفتاحًا.

ردَّ الآخر: هذا هو التعليل الوحيد للباب المفتوح ... فليس هناك من يطمع في شيءٍ يسرقه، ولا أحد في هذه النواحي يجرؤ على دخول كوخنا.

عاد الآخر يقول: لقد كانت العملية نظيفة ... وسوف يحتفظ الخواجة بالبضاعة لحين سفره خارج البلاد، فما رأيك يا «شلضم» أن نحتفظ نحن بالبضاعة بعد سفره ونتصل بأهلها ونطلب فدية؟

أدرك «تختخ» على الفور ما هي البضاعة التي يتحدث عنها الرجلان ... لم يكن هناك شك أنها «سماء».

وسَمِع «شلضم» يقول: لقد فكَّرتُ في نفس الشيء ... ولكن لا تقُل للخواجة.

ضحك الرجل الآخر، وقال: الخواجة ... كيف أقول له؟ ... إنه لا يثق فينا ... لقد رفض أن يترك البضاعة معنا ... وأصَرَّ على أن يأخذها معه.

ساد الصمت بعد هذا الحديث وارتفع صوت موقد الكيروسين ... وعرف «تختخ» أنهما يُعدَّان الشاي ... وأخذ الفأر الصغير يجري هنا وهناك ... حتى إنه صَعِد مرةً إلى وجه «تختخ» ... وجلس قليلًا على وجنته ... ولولا الموقف الخطير الذي كان فيه المُغامِر البدين لقفز صارخًا ... ولكنه استعان بكل طاقته العصبية ليظل هادئًا.

انتهى عمل الشاي، وأخذ الرجلان يرشُفان بلذَّة واستمتاع، وقال «شلضم»، ذو الصوت الخشن: هل فكَّرتَ ماذا يفعل الخواجة في بلادنا؟

ردَّ الآخر: فكَّرتُ، ولكن لم أصل إلى نتيجة.

ولم تكَد هذه الجملة تنتهي حتى صمتا، ثم قال أحدهما هامسًا: إن شخصًا يقترب! وساد الصمت، واستطاع «تختخ» فعلًا أن يسمع صوت قدمَين تقفان أمام الباب ... وقام أحد الرجلَين من مكانه، وسمع «تختخ» صوت بندقية تُعَد للإطلاق، ولكن القادم تحدَّث على الفور قائلًا: شلضم ... أنا «سيد».

قال شلضم: تعالَ ... ماذا هناك؟

سيد: إن الخواجة يريد أن يراكما الآن.

شلضم: ماذا حدث؟

سيد: لا أعرف، هذه أوامره.

شلضم: بالمناسبة ... هل جاء الخواجة إلى هنا اليوم أو في المساء؟

سيد: أبدًا ... إنه لم يغادر مكانه ... وكنتُ معه طول الوقت.

شلضم: شيءٌ غريب ... لقد وجدنا باب الكوخ مفتوحًا وكان مغلقًا بالقفل!

ساد الصمت لحظات، ثم قال «سيد»: هل اختفى شيء؟

شلضم: ليس لدينا ما يستحق السرقة.

سيد: فتِّش الكوخ!

كان «سيد» يتحدَّث وهو واقف على الباب، ولكنه دخل بعد هذه الجملة ... ولم يكن بالطبع في الكوخ شيء يمكن البحث فيه سوى تحت الفِراش. وأدرك «تختخ» أنه وقع في مصيدةٍ لا فِكاك منها ... فترك فردة الحذاء الصغيرة تسقُط من يده ... واستعد لِلَّحظةِ القادمة ... ولم تَمضِ لحظات حتى كانت أيدي الرجال الثلاثة تمتد إليه، وتُخرِجه بعنف من تحت الفِراش.

بدَت الدهشة على وجوه الرجال الثلاثة وهم ينظرون إلى هذا الولد البدين وهو يقف ثابتًا أمامهم ... وكان «شلضم» أوَّل من تحدث، فقال: ماذا تفعل هنا؟

ردَّ «تختخ» على الفور: كنت أبحث عن مكانٍ أنام فيه.

شلضم: لماذا؟

تختخ: لأني هارب من أُسرتي.

شلضم: هارب؟

تختخ: نعم ...

شلضم: وكيف فتحتَ الباب؟

تختخ: بقطعةٍ من السلك. إن القفل ليس من النوع الذي يصعُب فتحه.

شلضم: يبدو أنك مدرَّب، ولا أدري ماذا أفعل بك.

سيد: سنأخذه معنا إلى الخواجة ... إنه صاحب الحق الوحيد في التصرُّف.

شلضم: هيا بنا.

خرج الجميع من الكوخ ... وأَحَس «تختخ» بحركةٍ تحت قدمَيه ... أدرك أن «زنجر» يدخل الكوخ، ثم خرج مسرعًا ... وأحسَّ أحد الرجال به، فصاح: كلب!

التفَت الرجال الثلاثة إلى «الكلب» الذي خرج مسرعًا دون أن يتمكَّن أحد من الإمساك به ... ورفع «شلضم» بندقيته ليطلق الرصاص عليه ... وبرغم أنه لم يكن من الممكن إصابته في الظلام ... إلا أن «تختخ» ضرب ذراع «شلضم» ضربةً قوية، جعلَت البندقية تسقُط من يده.

صاح «شلضم» مغتاظًا: سأقتلك ...

قال «سيد» بهدوء: أَمسِك أعصابك يا «شلضم»، سنذهب بالولد إلى الخواجة.

سار الجميع إلى شاطئ النيل، وشاهد «تختخ» قاربًا مربوطًا إلى الشاطئ نزلوا جميعًا فيه.

كان الظلام حالكًا بعد أن تجاوزَت الساعة منتصف الليل ... ومضى القارب يشُق طريقه هادئًا وسط المياه، وكان «تختخ» يجلس في مقدمة القارب، ورأسُه نهبًا لأفكارٍ متضاربة ... فبرغم أنه كان تعسًا لأنه وقع كالفأر في المصيدة ... إلا أنه كان سعيدًا في نفس الوقت أن أثمَرتْ مغامرته الليلية في وضعه داخل العصابة ليَكشِف سرها، ويكون قريبًا من «سماء». وفي نفس الوقت، كان الرجال الثلاثة يتحدَّثون بصوتٍ هامس في نهاية القارب ... واستطاع «تختخ» أن يسمع كلماتٍ متناثرة مما يقولون: السفر ... المبلغ المناسب ... البضاعة ... الولد ...

وأخذ «تختخ» يربط بين هذه الكلمات والمعلومات التي يعرفها، وفي نفس الوقت يفكِّر لماذا دخل «زنجر» إلى الكوخ سريعًا ثم خرج ... ومصيره بعد دقائق الذي سيُقرِّره الخواجة ... وفي هذه اللحظة شاهد مركبًا بخاريًّا ضخمًا مما يُستخدَم في نقل البضائع في النيل، والذي يُسمُّونه «صندل» ... وكان هذا الصندل الضخم يقترب منهم متجهًا ناحية الجنوب ... وخطَرتْ ببال «تختخ» فكرة ... إنه يستطيع الهرب ... في لحظاتٍ يستطيع أن يُلقي بنفسه في النهر ثم يتعلَّق بمؤخرة الصندل ... المهم هو التوقيت ... إنه يعرف معلوماتٍ كثيرة لو وُضعَت أمام المفتش «سامي» — وعنده الرجال والقوة — لاستطاع القبض على الخواجة، وتفسير لماذا اختَطَف «سماء»، أما بقاؤه مع العصابة واستسلامه فقد ينتهي بكارثة ... إما أن يقتلوه كما هدَّده «شلضم» أو يهربوا قبل أن يصل المفتش «سامي» ورجاله ...

أخذ الصندل يقترب تدريجيًّا من القارب ... وأخذَت الأمواج التي يُحدثها في النيل ترُجُّ القارب رجًّا عنيفًا. وانتهز «تختخ» هذه الفرصة وأخذ يُعَدِّلُ وضعه فوق القارب ليكون انزلاقه سريعًا ... ومضت الثواني والصندل يقترب ويقترب ... ثم أصبح يسير بمحاذاتهم ... كان صندلًا ضخمًا، مُكوَّنًا من قاطرةٍ بخارية، وخلفها مقطورةٌ كبيرة محمَّلة بشكارات الأسمنت ... ومَرَّ الصندل سريعًا حتى لم يَبقَ منه سوى مترَين فقط من المقطورة ... وجاءت اللحظات المناسبة ... وتدَحرجَ «تختخ» على سطح القارب سريعًا، ثم ألقى بنفسه في المياه ... وفي اللحظة التالية كان يتعلَّق بقطعةٍ من الحبل مُتدلِّية من المقطورة، وسَمِع

صيحات الرجال الثلاثة ... ولكن الفرصة كانت قد أفلتَت منهم؛ فقد مضى الصندل في طريقه مبتعدًا عن القارب الذي حَوَّل اتجاهه ناحية الصندل محاولًا اللحاق به ... وأخذ «تختخ» يستجمع قُوَّته ليصعَد فوق سطح المقطورة، استعدادًا للأحداث القادمة.

رغيف ... وكوب من الشاي

تعلَّق «تختخ» بالحبل المُدَلَّى من الصندل لحظات ... ثم استجمع قُوَّتَه وصَعِد فوق الصندل ... كان خاليًا ... لا تملؤه إلا شكائر الأسمنت ... وأدرك «تختخ» أن العاملين في الصندل يجلسون جميعًا في النصف الآخر منه ... النصف الذي به ماكينات الإدارة، حيث يُوجَد قائد الصندل والعاملون معه.

ألقى «تختخ» بنفسه فوق شكائر الأسمنت النظيفة وتنهَّد بعمق ... لقد استطاع الإفلاتَ من مأزقٍ خطير ... ونظر إلى حيث كان القارب الصغير ... وعلى ضوء النجوم رآه قد ابتعد عن الصندل بمسافةٍ كبيرة ... ولم يَبقَ هناك أملٌ في أن يلحق به ... وَأَحَسَّ بالارتياح، وأخذ يفكِّر في اللحظة القادمة ... ماذا ينبغي أن يفعل؟

كان الصندل يشُق طريقه وسط النهر العريض بسرعةٍ كبيرة ... وأدرك «تختخ» أنه قد ابتعَد عن مكانه الأول بنحو كيلومترٍ وأكثر ... وأنه سيكون بعد دقائقَ قليلة قد ابتعد أكثر ... وفكَّر أن يُلقي بنفسه مرةً أخرى في المياه ... ولكنه خشي أن يلتقي بالقارب مرةً أخرى ... لهذا استلقى على ظهره، ينظر إلى السماء البعيدة المزيَّنة بالنجوم، وسرعانَ ما استَولَى عليه النوم ... بعد يومٍ طويل شاقٍّ ومعركةٍ غير متكافئة.

لا يَدْري «تختخ» كَم من الوقت انقضى ... ولكنه استيقظ فجأة على يدٍ تهزُّه وفتح عينَيه ... وظن أنه في المنزل وكاد يعود إلى النوم ... ولكن المشهد الذي رآه أطار النُّعاس من عينَيه ... فقد شاهد ثلاثةَ رجالٍ عليهم سيماء العمال ينظرون إليه ... وكان ضوء الفجر الوليد يتسلَّل إلى الأفق.

سمع أحدهم يقول له: ماذا تفعل هنا؟

فكَّر «تختخ» لحظاتٍ وتذكَّر كل ما مر به بسرعة البرق، وردَّ قائلًا: آسفٌ جدًّا إذا كنتُ قد أزعجتُكم.

عاد الرجل يقول: ماذا أتى بكَ إلى هنا؟

ردَّ «تختخ»: مسألةٌ يطُول شرحها ... ولكنَّ بعض الأشقياء حاولوا اختطافي في قارب وتصادَفَ مرور الصندل قُرب القارب، فقفَزتُ في المياه وتعلَّقتُ بحبل، وصَعِدتُ إلى ظهر الصندل.

أخذ الرجال يتبادلون النظرات، وجلس «تختخ» مكانه وأخذ ينظر حوله ثم سأل: أين نحن الآن؟

ردَّ أحد الرجال: لقد غادرنا محافظة الجيزة؟

ارتاع «تختخ» من سماع هذه الجملة، وقال: وإلى أين أنتم ذاهبون؟

ردَّ الرجل: عند نهاية المحافظة تقريبًا.

تختخ: أرجوكم، إنني يجب أن أعود فورًا إلى المعادي.

نظر الرجال بعضهم إلى بعض، وقال أحدهم: لنذهب به إلى الريس «جودة»؛ فهذه مشكلةٌ لم تقابلنا من قبلُ.

تحرَّك الجميع ... اجتازوا الصندل سائرين فوق شكائر الأسمنت ... كان «تختخ» يشعُر بالجوع والبرد معًا ... وأخذ يسعُل سُعالًا خافتًا، فقد نام وملابسه مبتلَّة ... وعندما وصلوا إلى نهاية الصندل، أمسك الرجال الحبال وجذَبوا القاطرة، ثم قفز الجميع إليها، واتجهوا إلى الكابينة التي بها عَجلة القيادة ... ودخل أحد الرجال إليها ... ومضت فترة، ثم ظهر مرةً أخرى واستدعى «تختخ» لمقابلة الريس «جودة».

دخل «تختخ» كابينة القيادة، كانت دافئة ... وكان الريس يُعِدُّ الشاي ... وأمامه بعض الأرغفة، وقطعةٌ من الجبن، وكميةٌ من الطماطم ... وأَحَس «تختخ» بمعدتِه تتلوَّى، ونظر إلى وجه الريس «جودة»، كان وجهًا مصريًّا طيبًا، كسَته الشمس بسُمرتها المحبَّبة. ولاحظ الريس «جودة» أن «تختخ» يسعُل ... ورأى نظراتِه المصوَّبة إلى الطعام، فقال: أنتَ جائع؟

ردَّ «تختخ» على الفور: نعم ... جائع جدًّا.

الريس: إذن تفضَّل طعام الإفطار معنا.

تختخ: إنكم تُفطِرون مُبكِّرين!

الريس: هناك مثل يقول: الطير المُبكِّر يحصل على طعامٍ أكثر.

ابتسم «تختخ» لأول مرة، وجلس بين الرجال، وبدأَت الأيدي السمراء تتناول الأرغفة وقِطع الجبن وحبَّات الطماطم لتصل سريعًا إلى الأفواه ... وأَحَس «تختخ» بسعادةٍ بالغة وهو يتناول الطعام مع هؤلاء البسطاء ... وسرعان ما كان الشاي جاهزًا ... وعندما أمسك كلٌّ منهم بكوبه، قال الريس «جودة»: والآن، لعلَّك أفضلُ، وتحكي لنا عن سبب وجودكَ على الصندل.

فكَّر «تختخ» قليلًا ... وقرَّر أن يقول لهؤلاء الرجال كل شيء، وأخذ يروي القصة باختصار، وبدت على الوجوه السمراء علامات الانتباه والدهشة والتعجُّب ... ولمعَت في عيونهم أماراتُ الاحترام والإعجاب بهذا الولد المُغامِر ... بل إن أحدهم صاح: لا بُد أن نعود إلى هذه العصابة ونقضي عليها.

عندما انتهى «تختخ» من روايته قال الريس «جودة»: إننا على استعدادٍ لمساعدتك مهما كلَّفَنا الأمر.

قال «تختخ»: أشكُركم ... كل ما أريده أن تُنزِلوني عند أقرب مكانٍ أستطيع العودة منه إلى المعادي ... إن المعلومات التي حصلتُ عليها مهمةٌ جدًّا ... وعن طريقها يمكن الوصول إلى «سماء».

صاح الريس «جودة»: هيا نتَّجه إلى البَر.

وبدأ الصندل يتجه إلى البَر ... وفي دقائقَ قليلة كانوا قد استطاعوا إيقاف الصندل بجوار البَر، ووضَعوا سقَّالةً من الخشَب سار عليها «تختخ» وهو يرفع يدَه مُودِّعًا الرجال، وقال الريس «جودة»: عند عودتنا سنمُر عليكَ في المعادي ... إننا نريد أن نعرف نهاية القصة.

تختخ: آسفُ لأنَّني لم أُعطِكُم عُنواني، ولكن عن طريق الشاويش «علي» في قسم الشرطة يمكن أن تجدوني.

وقفز «تختخ» إلى البَر ... ووقَف لحظاتٍ مُودِّعًا الصندل، الذي سرعانَ ما استدار، وأخذ طريقه مُصْعِدًا في النهر.

صَعِد «تختخ» شاطئ النهر ... ووجد نفسه وحيدًا على شاطئٍ مزروع ... ومن بعيدٍ بدت له قريةٌ تَربِضُ بين الأشجار ... فأخذ طريقه إليها ... كانت المسافة طويلة، ولكن «تختخ» أَحَس بانتعاش؛ فقد أشرقَت الشمس وانتشَرتْ في الجو رائحة الأزهار، ومشَى بنشاط ... وأخذ يتذكَّر ما مَرَّ به في الليل ... مجموعةٌ متشابكة من المغامرات والأحداث. وتذكَّر أنه ترك درَّاجتَه بجوار الشجرة عند ركن حلوان ... وتذكَّر «زنجر» ودخولَه إلى الكوخ وخروجَه ... ولم يجد حتى ذلك الحين إجابةً على سبب تصرُّف «زنجر» العجيب.

اقتَرب «تختخ» من القرية ... ثم دخلها ... وكان بشكله الغريب عن سكان القرية باعثًا على أن يكون محط الأنظار ... كان يبحث عن مكان سوق القرية ... حيث عادةً ما تُوجَد سياراتُ أجرة تعمل بين المحافظات ... وسرعان ما وصل إلى السوق بعد أن سأل بعض المارة ... وبعض السيارات الواقفة ... كانت كلُّها من طرازٍ قديم ... ولكن لم يكن عنده فرصةٌ للانتظار أو الاختيار ... سأل عن أول سيارة ستقوم إلى القاهرة ... ثم ألقى بنفسه فيها وجلس.

كان ولدٌ صغير يُنادي على المارة: نفر واحد، نفر واحد ... مصر ... مصر ...

وأخذ زبائن السيارة يتوافدون واحدًا بعد الآخر ... وسرعان ما اكتمل عدد الركاب، وأعمل السائق يدَيه وقدمَيه في أجهزة السيارة، فانطلقَت بهم تهتَز على الطريق المُتربِ، بعد أن نبَّه على المسافرين بقيمة الأُجرة.

جلس «تختخ» بجوار النافذة محشورًا ... فلم تكن هذه السيارة تُراعي عدد الركاب، فتحمل عادةً أضعاف حمولتها ... ولكنه كان سعيدًا ... فهذه تجربةٌ جديدة تُضاف إلى عشرات التجارب الأخرى التي مَرَّ بها ... وتذكَّر أنه اضْطُر مرةً لركوب عربة «حنطور» في أسيوط على ما تذكَّر ... وابتسم ... ومضت مُدةٌ طويلة قبل أن تتزايد حركة المرور ... وأدرك «تختخ» أنهم يقتربون من القاهرة، فقال للسائق: من فضلكَ أريد النزول في الجيزة.

ردَّ السائق: ستدفع الأجرة كاملة.

قال «تختخ»: بالطبع سأدفع كل الأجر.

واقتربَت السيارة من الجيزة، وأسرع «تختخ» بالنزول، ثم أسرع يبحث عن تاكسي ... وكانت هذه مشكلة ... ولكن لحسن الحظ وجد تاكسيًا متجهًا إلى المعادي ... وأخذَت دقَّات قلبه تتزايد بمرور الوقت ... كان يريد أن يعرف ماذا حدث بعد أن اضْطُر للهرب من عملية المصيدة ... وعندما وصل إلى المعادي نزل قفزًا من التاكسي بعد أن دفع الأُجرة، وأخذ يسير بخطواتٍ نشيطة ناحية منزله ... وكانت الساعة قد أشرفَت على العاشرة صباحًا ... ولكن قبل أن يصل إلى منزله بشارعٍ واحد انشقَّت الأرض عن الشاويش «علي» قادمًا في نفس الاتجاه ... ولم يستطع «تختخ» الهرب من نظرات الشاويش التي وقعَت عليه ... واقترب أحدُهما من الآخر ورفع «تختخ» يده بتحيةٍ سريعة للشاويش ليُواصل طريقه إلى منزله، ولكن ما ظهر على وجه الشاويش من علامات ... منها اهتزازُ شاربه ... أوضح لـ «تختخ» أن الأمور لا تسير على ما يُرام ... وفعلًا أوقف الشاويش درَّاجتَه أمام «تختخ» بالضبط ثم صاح به: أين أنتَ؟

ذُهل «تختخ» لعبارة الشاويش الجافَّة، وقال: كما ترى ... إنني هنا.

الشاويش: إنك لم تقضِ الليلة بمنزلك ... وتركْتَ درَّاجتكَ بجوار شجرة عند ركن حلوان ... وقد أخطر زملاؤك المفتش «سامي» بهذا ... وقد حضَر المفتش هذا الصباح مبكرًا ... وطلب مني البحث عنكَ.

تنهَّد «تختخ» وقال: كل هذا مرةً واحدة؟

الشاويش: نعم ... مرةً واحدة.

تختخ: وأين المفتش «سامي»؟

الشاويش: لقد ذهب إلى ركن حلوان مع مجموعةٍ من رجاله، ومعهم «محب» و«عاطف» ... والكلب «زنجر».

صاح «تختخ»: زنجر؟

الشاويش: نعم ... لقد عاد صباحًا إلى منزل «محب» ومعه فردة حذاءٍ لفتاةٍ صغيرة وأخذ ينبَح ... وعرف «محب» بعد أن اتصل بمنزل الفتاة المختفية «سماء» أن فردة الحذاء لها ... وقد أخطر «محب» المفتش «سامي» بكل هذا، فأخذوا الكلب هذا الصباح، وساروا خلفه، ووصلوا إلى ركن حلوان، وقد تركتُهم وعُدتُ؛ لأن المفتش طلب مني البحث عنكَ في كل مكان ...

تختخ: وأين درَّاجتي؟

الشاويش: لقد أعدتُها إلى منزلكَ.

تختخ: شكرًا لك يا شاويش.

ولم ينتظر «تختخ» ردًّا من الشاويش، الذي وقف مذهولًا، وهو يرى المُغامِر البدين ينطلق جريًا في اتجاه منزله.

الطريق المسدود

أَحَس «تختخ» بفرحةٍ طاغية عندما وجد درَّاجتَه مكانها ... قفز إليها واجتاز بوابة الحديقة وسمع الشغالة «حسنية» تُنادي عليه ... فتوقَّف لحظات، فقالت له: ماذا حدث؟ أين أنتَ؟ إنني مشغولة عليك.

كان والد «تختخ» ووالدتُه مسافرَين ... وأدرك الحزنَ الذي سبَّبه للشغَّالة المُخلِصة «حسنية» فصاح: آسفٌ جدًّا يا حسنية ... ولكني على ما يُرام ... وسأعود على الغداء.

ثم حرَّك قدمَيه وانطلق كالصاروخ ... ولِدهشَته وجد الشاويش «علي» يقف أمام باب الحديقة ... وما كاد «تختخ» يمُرُّ به حتى أدار الشاويش بدَّال دَّراجتِه وانطَلق هو الآخر مسرعًا ... وسرعان ما كان الاثنان ينطلقان على كورنيش النيل إلى حلوان.

بعد نصف ساعة أشرف «تختخ» على ركن حلوان ... وخفَق قلبه سريعًا وهو يفكِّر في احتمال أن يكون المفتش ورجاله قد عثَروا على «سماء» ولم يعودوا في حاجة إليه ...

وعندما وصل كان عددٌ من رجال الشرطة يقفون عند الباب ... وقدَّم لهم نفسه ... ودخل إلى الكازينو الكبير ... ولم يَرَ أحدًا ... وأَحَس بضيق ... ولكنه عندما دخل أكثر إلى الكازينو شاهد «لوزة» و«نوسة» تجلسان وحدهما ... واقترب في هدوءٍ منهما ... كانتا تنظُران إلى النهر الأسمر وقد استغرقَتا في تفكيرٍ عميق ... وببساطة دون أن يُحِسَّا به، وقف «تختخ» خلف «لوزة» ثم وضع يدَيه على عينَيها ... وفي لحظةٍ خاطفة قالت «لوزة» بصوتٍ مملوء بالفرح: تختخ!

والتفتَت «نوسة» تقول: أين هو؟

رفع «تختخ» يدَيه وهو يقول: أنا هنا.

وقفَت الفتاتان، وقد احمرَّ وجهاهما ... وأمسكَت كلٌّ منهما بيد «تختخ»، ثم صاحتا في نفَسٍ واحد: تختخ ... تختخ ... ماذا حدث؟

قال «تختخ»: إنها قصةٌ طويلة ... المهم الآن أين بقية المغامرين؟

لوزة: لقد ذهب «محب» و«عاطف» مع المفتش «سامي».

تختخ: أين؟

لوزة: للبحث عن «سماء» وعنكَ في نفس الوقت ... لقد أحضر «زنجر» فردة حذاء «سماء» ... ثم قادنا إلى هنا.

تختخ: لقد تذكَّرتُ الآن ما قاله لي الشاويش «علي»، وعرفتُ لماذا دخل «زنجر» إلى الكوخ وخرج عندما قبض عليٌّ الرجال، لقد دخل ليأخذ فردة الحذاء.

نوسة: قبضوا عليك؟

تختخ: نعم ... ولكنَّني هربتُ بطريقةٍ غريبة ... وسوف أروي لكم جميعًا القصة ... ولكن إلى أين اتجه المفتش و«محب» و«عاطف»؟

نوسة: في قاربٍ في النيل ... لقد جرى «زنجر» حتى حافة النهر وأخذ ينبَح.

تختخ: ألم يأخذهم «زنجر» إلى الكوخ؟

نوسة: حدث ... ولكنهم لم يجدوا شيئًا هناك.

تختخ: ولن يجدوا شيئًا في النهر ... إن الخواجة ... كما يُسمِّيه أفراد العصابة مختفٍ في مكانٍ ما في النهر، سيكون من الصعب الوصول إليه ... وإنني أُفضِّل عمل كمينٍ للرجال العاملين معه ... فهم من هذه الأنحاء.

نوسة: لم يعُد من الممكن عملُ كمينٍ بعد أن عرف الجميع أن الشرطة تُطارِد العصابة، فسوف يأخذ أفرادها حِذرَهم.

تختخ: معك حق ... ولكن ما العمل الآن؟

نوسة: أعتقد أن علينا أن ننتظر حتى عودة المفتش ... ونرى.

جلس الثلاثة يتحدَّثون ... وكانت «لوزة» مُلِحَّة في سماع مغامرة «تختخ» الليلية، فروى لها القصة باختصار ... وأُعجبا جدًّا برجال الصندل النيلي الذين أكرموا «تختخ» وأوصلوه إلى البَر، وقال «تختخ»: إن الريس «جودة» وعدَني عند عودته أن يسأل عن الشاويش «علي» لأنه يريد أن يعرف نهاية المغامرة، وستكون فرصةً لإكرامه ...

طلَب «تختخ» كوبًا من الشاي، وجلس يتأمَّل النهر ويفكِّر في قصة «سماء» ... كانت خطواتُ خطفها من الممكن فهمها ... ولكن الهدف من خطفها كان «اللغز».

فجأةً صاحت «لوزة»: القارب البخاري الذي يركبه المفتش «سامي» ورجاله و«محب» و«عاطف» ظهر الآن قادمًا من اتجاه الشمال ... لعل هناك أخبارًا.

أخذ القارب يقترب ... ووقف الثلاثة ينظرون وكلُّهم أمل. وعندما شاهَدَ «محب» و«عاطف» «تختخ» أخذا يُلوِّحان له بأيديهما ... وكذلك فعل المفتش «سامي»، وسرعان ما كان القارب يقترب من مَرْسى القوارب عند ركن حلوان.

قفز الجميع إلى الشاطئ ... لم تكن معهم «سماء»، هكذا أدرك المغامرون الثلاثة ... «تختخ» و«نوسة» و«لوزة» أن مهمة رجال الشرطة لم تصل إلى شيء ...

وتبادَل الجميع التحيَّات الحارَّة ... وقد لقِيَ «زنجر» ترحيبًا كبيرًا من «تختخ» وأخذ الكلب الذكي يقفز حول صاحبه ويَلعَق يدَيه.

جلس الجميع تحت الأشجار العالية، وقال المفتش: لقد قادنا «زنجر» إلى ضفَّة النيل وأخذ ينبَح ... ولم نعرف إذا كان ينبَح بحثًا عنكَ ... أو عن «سماء»، ولكن على كل حالٍ لقد قمنا بجولةٍ واسعة على النهر دون أن نعرف ودون أن نصل إلى شيء ... فلم يستطع «زنجر» تتبُّع الأثَر أبعد من الشاطئ.

تختخ: بالطبع ... إن المياه تقطع خط اقتفاءِ الأثَر.

المفتش: والآن ... ماذا حدث لكَ أمسِ؟

ابتسم «تختخ» وقال: لقد وقعتُ مثل فأر في المصيدة ... والفارق الوحيد أن باب المصيدة كان مفتوحًا فقفزتُ منه خارجًا.

المفتش: هل أضفتَ إلى معلوماتك عن خطف «سماء» شيئًا؟

تختخ: بالطبع ... أكثر من شيء.

المفتش: أتمنى أن تحكي لنا كل شيء ... وأن تُقدِّم لنا استنتاجاتِكَ.

وأخذ «تختخ» يروي ما حدث ... بالتفصيل، مضيفًا إلى الأحداث تصوُّراته واستنتاجاته.

وعندما انتهى «تختخ» من روايته استدعى المفتش أحد ضباط المباحث وقال له: انتشروا فورًا وابحثوا عن شخصٍ يُدعى «شلضم» يقيم في الكوخ القريب من الشاطئ، وفي الغالب ستجدونه من أصحاب قوارب النزهة ... إن العثور عليه سيؤدي إلى وضع يدنا على الطريق إلى الخواجة وإلى الفتاة المخطوفة.

ثم نظر المفتش إلى ساعته وقال: عندي اجتماعٌ هام في مديرية الأمن الآن ... وسأترككم ... وسيقوم ضباط المباحث بإخطاري أوَّلًا بأوَّل عما يستجد ... بالطبع سوف أُخطِركم بكل شيء.

قال «تختخ»: سنعود نحن أيضًا إلى المعادي ... فليس هناك ما يمكن عملُه الآن هنا.

المفتش: تعالَوا معي في السيارة!

تختخ: معي درَّاجتي!

المفتش: سنضَعها في إحدى سيارات الشرطة.

افترق الأصدقاء على موعدٍ في المساء كالعادة في حديقة منزل «عاطف»، وعاد «تختخ» إلى منزله، ودخل الحمام ... وترك المياه الساخنة تغسل جسده من مغامرة الليل والأتربة التي انهالت عليه تحت الفِراش القش ... ثم خرج وارتدى بيجامة وألقى نفسه على الفِراش، وسرعان ما ذهب في سباتٍ عميق.

استيقظ «تختخ» في الثالثة بعد الظهر وهو يُحِس بانتعاش ... فتناول غداءً شهيًّا أعدَّته له «حسنية» ... ثم ذهب إلى الحديقة وجلس وحده ... كان يريد استجماع أفكاره كلِّها لعله يجد خيطًا يهديه إلى مكان الخواجة و«سماء»، وجلس وأحنى رأسه بين كفَّيه ... لقد أدرك أنهم وصلوا إلى طريقٍ مسدود، وأنه إذا لم يعثُر رجال المفتش «سامي» على «شلضم» فلن يصلوا إلى شيءٍ على الإطلاق ...

وجاء المساء ... وانطلَق «تختخ» مع «زنجر» ... كان «زنجر» يبدو حزينًا حقًّا ... فهو قد بذل جهدًا كبيرًا في هذه المغامرة ... ولكنه يرى الاجتماعات ما زالت تُعقد ... والبحث ما زال مستمرًّا ... وصاحبة الحذاء التي حصل على فردةٍ منه لم تظهر بعدُ.

وصل «تختخ» إلى حديقة منزل «عاطف» مبكرًا ... لم تكن هناك سِوى «لوزة» وكان يبدو عليها الضيق، وما كادت ترى «تختخ» حتى قالت: لقد انتهت المغامرة بأكبر فشل!

تختخ: هذا هو رأيي أيضًا.

لوزة: ليس هناك إلا أملُ أن يعثُر رجال المفتش «سامي» على «شلضم» هذا، وقد يؤدي هذا إلى العثور على «سماء».

تختخ: وهذا هو رأيي.

لوزة: ألم تستنتج شيئًا يمكن أن يُحرِّكنا ... أو أن مهمتنا الآن أن نجلس وننتظر؟

تختخ: للأسف الشديد، هذا صحيح ... وليس عندي شيءٌ أُضيفه.

وجلس الاثنان صامتَين ... وحضر بقية الأصدقاء ... وجلَسوا يتحدَّثون ... واستعرضوا المغامرة من لحظتها الأُولى ... ثم ساروا مع التفاصيل خطوةً بخطوة ... ولكن لا شيء على الإطلاق وجدوه ممكنًا أن يُحرِّك الموقف.

وقالت «لوزة»: تعالَوا نأخذ الدرَّاجات ونذهب إلى ركن حلوان ... لعلنا نجد هناك شيئًا.

ردَّ «عاطف»: وما الفائدة؟ ... إن رجال المباحث منتشرون هناك ... ولا أعتقد أن أفراد العصابة من السذاجة بحيث يُلْقون بأنفسهم بين أنياب الأسد.

وفي هذه اللحظة دقَّ جرس التليفون ... وانتبه الجميع ... لقد توقَّعوا على الفور أن تكون معلومات جديدة قد وصلَت إلى المفتش «سامي» ... سيُبلغها لهم ... وردَّت «نوسة»، وبعد أن استمعَت قليلًا قالت: إنه لكَ يا «تختخ».

أخذ «تختخ» سمَّاعة التليفون واستمع ... لم يَجِدِ المفتش «سامي» هو المتحدِّث ... لقد كانت والدة «سماء»، قالت له: لقد أخبرتَنا أمسِ أنك وصلتَ إلى معلوماتٍ جديدة قد تؤدي إلى العثور على «سماء» ... ولكنَّكَ لم تتصل بنا.

أَحَسَّ «تختخ» بغصَّة تقف في حلقة ... لقد كان متفائلًا أمسِ بقَدْر ما هو متشائم اليوم ... فقد وصلوا فعلًا إلى طريقٍ مسدود.

وأخيرًا ردَّ قائلًا: لقد بذَلْنا كل ما بوسعنا ... والموضوع كله الآن بين يدَي رجال الشرطة.

قالت الأم الملتاعة: ماذا فعلوا؟

تختخ: إنهم يبحثون عن شخص في حلوان، ربما يكون العثور عليه مفتاحًا للعثور على «سماء».

سكتَت الأم قليلًا، وسَمِع «تختخ» ... تنهيدةً تصدُر منها ... وأدرك أنها تُغالِب دموعها ... ودَفعَه قلبُه إلى أن يقول: سيدتي ... أَعِدُكِ أن أُعيد لكِ «سماء» سريعًا.

قالت الأم: تَعِدني؟

تختخ: نعم ...

الأم: أشكركَ كثيرًا ... ولكن ماذا ستفعل ما دام الموضوع بين يدَي الشرطة؟

تختخ: لا أدري بالضبط ... ولكن الله معنا.

الأم: شكرًا لك على هذه العواطف الطيبة ... وأرجو أن تتصل بي عند سماع أي خبرٍ عن ابنتي.

تختخ: إن شاء الله.

وضع «تختخ» السماعة، وقال له «محب»: كيف تَعِدُها بردِّ «سماء» إليها وأنت تعرف أننا في موقفٍ ميئوس منه؟

سكت «تختخ» ... ولم يُجب ... لقد أَحَس أنه اندفَع في الحديث دون مُبرِّر ... وأن ما وعد به الأم المسكينة كان مجرَّد سراب ... وأَحَس بالضيق لِما فعل ... فقام واقفًا وانصرف ... وأخذ المغامرون ينظرون إليه في دهشة، في حين تَبِعه «زنجر» في خَطوٍ حزين.

لغز بلا نهاية

أمضى «تختخ» جزءًا من المساء وحده ... ثم اتصل ب «لوزة» وتحدَّث معها لحظات ... وصَعِد إلى الدور الثاني وقرَّر أن ينسى كل شيء ... فقد وضع كل الخيوط في أيدي رجال الشرطة ... والدور عليهم الآن في إعادة الفتاة المخطوفة.

وضَع التليفون بجواره، وأمسك بكتاب وأخذ يقرأ ... ولكنه لم يستطع الاستمرار فقام إلى التليفزيون ففتَحه ... وأخذ يتفرَّج على برنامجٍ خاص عن القطب الشمالي والحياة فيه ... وعندما أشرفَت الساعة على منتصف الليل تقريبًا أوى إلى فراشه ... كان قد نام فترةً طويلة نهارًا ... فلم ينَم على الفور وظل يتقلَّب في فراشه ... وفجأةً دقَّ جرس التليفون وقفَز «تختخ» إليه ... وكم كانت دهشتُه عندما سَمِع صوت المُتحدِّث.

كان «محب»، الذي قال: آسفٌ لأنني أزعجتُك.

تختخ: لا بأس ... هل هناك شيء؟

محب: مطلقًا، سِوى أني أُحِس بقلقٍ على الفتاة ... وعلى أهلها بعد محادثتكَ اليوم لأمها ... وقد جافاني النوم ورأيتُ أن أتحدَّث إليك ...

تختخ: لقد أسرفتُ في التفاؤل ... ولكن ...

وقبل أن يكمل «تختخ» جملته سَمِع صوت الجرس الخارجي للباب يدُق بإلحاح، وقال لـ «محب»: هناك شخصٌ بالباب الخارجي ... لحظات وأعود إليك.

وترك «تختخ» السمَّاعة على الفِراش ... وأسرع ينزل وفي رأسه ألفُ خاطر، من هذا الطارق المتأخر ... هل هو والده؟ إن معه مفتاحًا ... هل هو أحد المغامرين؟ غير معقول! هل هو المفتش «سامي»؟ لماذا لا يتصل تليفونيًّا؟

وأخذ يجري على السلالم حتى وصل إلى صالة المنزل، وما زال جرس الباب يدُق بإلحاح، وعندما فتَحه كانت في انتظاره مفاجأة ... الشاويش «علي»!

قال «تختخ»: مرحبًا، أهلًا بالشاويش، تفضَّل بالدخول.

قال الشاويش بأسلوبه الخشِن الطيب: إنني لم آتِ ضيفًا عليك؛ فليس من المعقول أن يأتي شخصٌ بعد منتصف الليل للزيارة.

تختخ: مرحبًا بك في كل وقت.

الشاويش: إن هناك شخصًا يسأل عنك ... ويريد أن يراك.

أخذ «تختخ» يفكِّر سريعًا، ثم قال: من هو؟

الشاويش: رجلٌ يُدعى «جودة»، وهو يعمل قائدًا لمقطورة في النيل.

قال «تختخ» فرِحًا ومُرحِّبًا به: إنه أنقذَني.

الشاويش: إنه يقف بباب الحديقة؛ فقد رفض الدخول!

تختخ: يا له من رجلٍ طيب! ...

وقفز «تختخ» خارجًا ... ووجد الريس «جودة» يقف بجوار باب الحديقة، والمدهش أن «زنجر» كان يقف أيضًا دون نُباح ... لقد أدرك الكلبُ الذكي أن الرجل صَديق ... وأن الوقت لا يسمح بالهزار مع الشاويش.

صاح «تختخ»: مرحبًا بك يا ريس «جودة».

جودة: آسفٌ جدًّا لإزعاجك ... في هذا الوقت المتأخر.

تختخ: على العكس ... لقد أسعدتَني جدًّا ... تفضَّل.

جودة: الوقت ضيق.

تختخ: لعلك جئتَ تسأل عن الأخبار؟

جودة: لقد جئتك بأخبار!

تختخ: أيَّة أخبار؟

جودة: لقد أفرغنا شحنة الأسمنت، وكنا في طريق العودة عندما شاهدنا قاربًا بخاريًّا يقف في النيل وقد تعطَّلتْ ماكيناته ... وقد صاح أحد الأشخاص يطلب المساعدة.

وتوقَّف الريس «جودة» لحظات، ثم عاد يقول: واقتربنا من القارب ... وذهب الميكانيكي ليرى الخلل، وذهبتُ معه. وقد استقبلَنا بعض الأشخاص ... و...

وعاد الريس «جودة» يسكت من جديد، فقال «تختخ»: أرجوك أكمل ... ماذا هناك؟

الريس جودة: لاحظتُ بين هذه الأشخاص رجلًا تنطبق عليه أوصاف الرجل الذي اسمه «شلضم»!

ارتفعَت دقَّات قلب «تختخ» حتى كاد يقفز من صدره، وقال: وماذا فعلتم؟ ابتسم الريس جودة وهو يقول: قلتُ لهم إن هناك خللًا يحتاج إلى قطعة غيار لا بُد من شرائها

من القاهرة، ووعدتُهم بأنني سأشتريها وأعود لهم، وقد أعطَوني مبلغًا كبيرًا من المال ... وتركتُهم وجئتُ لكَ، لعل هذه المعلومات تهمُّكَ.

تختخ: تهمُّني جدًّا يا ريس «جودة» ... تهمُّني جدًّا جدًّا.

كان الشاويش يقف قريبًا وسمع الحديث ... وتدخَّل ليقول شيئًا، ولكن «تختخ» لم يترك له فرصة، بل قال سريعًا: لحظةً واحدة يا ريس «جودة»، سألبس ثيابي وآتي معك.

وانطلَق «تختخ» كالصاروخ إلى غرفته، وأمسك بسماعة التليفون وصاح: «محب» إن هناك أخبارًا رائعة، لقد عثَرنا على العصابة.

محب: غير معقول!

تختخ: البس ثيابك وتعالَ فورًا إلى منزلي.

أسرع «تختخ» يخلع ملابسه المنزلية ... ويرتدي ملابس الخروج، واستيقظَت «حسنية» وأسرعَت ترجوه ألا يخرج، ولكنه صاح بها: لا تخافي ... إنني في حماية القانون ... في حماية الشاويش.

وعاد «تختخ» سريعًا إلى الحديقة، ولم تَمضِ لحظات حتى كان «محب» قد وصل هو الآخر ... وانطلق الأربعة وخلفهم «زنجر» إلى الكورنيش، حيث كانت قاطرة الريس «جودة» تقف ... وقال «تختخ» في الطريق: من الأفضل أن نتصل بالمفتش «سامي» يا حضرة الشاويش.

الشاويش: لا تخشَ شيئًا ... إنني ممثل القانون، ولا يستطيع مخلوق أن يرفع إصبعه أمامي.

تختخ: إنهم لن يرفعوا أصابعهم يا شاويش ... إنهم سيرفعون البنادق!

الشاويش: إنني لا أخشى شيئًا.

تختخ: أرجوك يا شاويش ... اتصل بالمفتش «سامي» ليرسل قوةً من رجاله.

الشاويش: هناك قوةٌ موجودة عند ركن حلوان.

تختخ: عظيم ... استدعِهم فورًا.

الشاويش: وكيف ألتقي بكم؟

ردَّ الريس «جودة»: إن القاطرة والصندل موجودان بجوار كازينو الجود شوط، والقارب البخاري على بُعد حوالي كيلومترَين من نفس المكان في اتجاه القاهرة.

أسرع «الشاويش» يقفز على درَّاجتِه وانطلَق، ووصل الريس «جودة» و«تختخ» و«محب» ... إلى ملهى «الجود شوط»، ودُهِش «تختخ» أن وجد الحياة ما زالت تدبُّ في الكازينو الجميل وصوت الموسيقى ينطلق من حديقته الواسعة!

استقبل بحَّارة الصندل «تختخ» كصديقٍ قديم ... وأخذوا يتبارَوْن في إكرامه. وقال أحدهم: سوف نشترك في القبض على هؤلاء الأشرار.

تختخ: بالطبع.

ومضت فترة دون أن يظهر الشاويش أو رجال المفتش «سامي»، فقال «تختخ» الذي كان يُحِس بالقلق: هل عندك سلاح يا ريس «جودة»؟

ردَّ «جودة»: نعم ... عندي مسدَّسٌ مرخَّص.

تختخ: إذن هيا بنا ... ولينتظر أحد رجالك حضورَ رجالِ الشرطة ليقودهم إلى المكان.

ودار محرِّك القاطرة النهرية، وانطلقَت في الظلام، ولم تَمضِ إلا دقائقُ قليلة، حتى أشار «جودة» إلى شبحٍ أسود يَربِض على المياه، وقال: هذا هو القارب البخاري.

تختخ: كم عدد الرجال بالتقريب هناك؟

جودة: الذين رأيتُهم ثلاثةٌ لا غير.

تختخ: وكم عدَد رجالك؟

جودة: سبعة.

تختخ: عظيم ... سنذهب على أنكَ أحضرتَ قطعة الغيار للموتور، ويشغلهم الميكانيكي، وهاتِ معك مسدَّسك المرخَّص، وسنرى.

واتجهَت القاطرة إلى جوار القارب، وأطلقَت القاطرة صفارةً عالية تنبئ بوصولها، ثم توقفَت بجوار القارب تمامًا ... ثم قفز الميكانيكي ومعه رجلان إلى القارب ... وربض «تختخ» و«محب» في الظلام.

كان القارب البخاري يشبه يختًا رائعًا ... به كابينةٌ ضخمة تشبه الصالون ... كانت مضاءة ... وهمس «تختخ» لـ «محب»: تعالَ نتسلَّل إلى القارب، فليست هناك حراسة.

قفز الاثنان بخفَّة الفهود إلى سطح القارب ... وأخذا يزحفان بجوار الصالون، كانت نوافذه مستديرة ... ومغطَّاة بالزجاج ككل السفن البحرية ... ونظر «تختخ» من زجاج إحدى النوافذ وكادت تنطلق منه صرخةٌ كتمها في آخر ثانية ... لقد شاهَد «سماء» تجلس في الصالون، وأمامها رجلٌ لم يَرَ منه إلا ظهره. ولكن كان من الواضح من لون بشرته الحمراء وشعره الأشقر أنه أجنبي.

قال «تختخ»: محب ... استدعِ الريس «جودة».

تسلَّل «محب» «إلى المقطورة» وعاد بعد لحظات ومعه «جودة»، وقال «تختخ»: انظر يا ريس «جودة» ... ها هي ذي الفتاة المخطوفة.

نظر الريس «جودة» إلى حيث أشار «تختخ»، وقال: تعالَ نُنقذها.

تختخ: ولكنَّ هؤلاء الرجال خطرون.

جودة: إنه خواجة ... ونحن لا نخشى الخواجات ... هيا بنا.

ومشى الثلاثة حتى وصلوا إلى السُّلَّم المؤدي إلى الصالون ... وفتح «تختخ» الباب وظهر في الضوء أمام الخواجة، الذي اتسعَت عيناه دهشةً وهو يرى «تختخ» أمامه، وقال له «تختخ»: إن الشرطة تُحيط بالمكان، من الأفضل لك أن تستسلم.

وقبل أن يدرك «تختخ» ما يحدث ... اندفع الرجل كالصاروخ من الباب الآخر للصالون ثم صَعِد إلى سطح القارب ... وأسرع خلفه الريس «جودة» وهو يشْهر مسدَّسه في حين اندفَعتْ «سماء» إلى ذراعَي «تختخ» وهي تبكي.

في هذه اللحظة سَمِع الجميع صوت صفَّارة الإنذار ... وعرفوا أن رجال الشرطة قد وصلوا ... وأسرع «محب» و«تختخ» و«سماء» إلى سطح القارب ... كان الخواجة قد ألقى بنفسه في النيل واختفى عن الأنظار ... في حين كان قارب الشرطة السريع يقترب وقد وقف عليه رجال الشرطة شاهرين أسلحتهم.

قفز رجال الشرطة إلى القارب ... وبسرعةٍ شرح لهم «تختخ» ما حدث ... وطلب منهم توصيله إلى الشاطئ مع «سماء» و«محب» ... لأن «سماء» في حاجة إلى راحةٍ عاجلة ... وأمر رئيس القوة بإنزال قاربٍ صغير حمل الثلاثة إلى الشاطئ.

وبينما كانت قوة الشرطة تقبض على العصابة وتُطارِد الأجنبي الهارب في النيل ... كان «تختخ» و«محب» و«سماء» يسيرون في اتجاه منزل «سماء»، التي شرحَت لهما ما حدث لها في السينما قائلة: كنتُ أجلس بين شخصَين يتحدَّثان باللغة الإنجليزية، وحاول أحدهما تسليم شيءٍ للآخر فسقَط منه على أرض السينما ... فنزلتُ لإحضاره، كان شيئًا يُشبِه السهم اللامع كالفضة، ولكنه معقَّد جدًّا ... وعُدتُ به إلى الرجل الذي بدا منزعجًا جدًّا، ثم جلستُ مكاني أتابع الفيلم، وفجأةً أحسَستُ بشيءٍ ينغرس في ذراعي ... وأخذتُ أغيب عن الوعي ... وكنتُ قد سمعتُهما يتحدَّثان عن ركن حلوان ... ويبدو أنه المكان الذي كانا يلتقيان فيه ... فقطعتُ كيس السوداني ... وكتبتُ بِحبَّة الفول السوداني اسم المكان وكلمةً أخرى لا أذكُرها.

تختخ: لقد وجدنا الورقة، وهي التي أوصلَتْنا لكِ. والكلمة هي ساعة.

سماء: سأروي لكم كل شيء غدًا؛ فإنني مُرهقَة جدًّا.

تختخ: طبعًا ... طبعًا ...

وصل الثلاثة إلى منزل «سماء» وتقدَّم «تختخ» ودَق الجرس ... كانت الساعةُ قد تجاوزَت الثانية بعد منتصف الليل ... وتوقَّع «تختخ» أن يمضي وقتٌ طويل قبل أن يفتَح أحد الباب.

ولكن في لحظاتٍ كان الباب يُفتح ... وظَهرتِ الأم وخلْفها الأب ينظران في قلق، فقال «تختخ»: آسفٌ لإزعاجكما ... هذه هي «سماء».

اندفعَت الأم والأب معًا إلى الخارج ... واندفعَت سماء إلى أحضان والدَيها ... ودون أن ينتظر «تختخ» أو «محب» كلمةً واحدة منهما ... انطلَقا عائدَين في الليل الهادئ.

كانا يُحسَّان أنهما أسعد ولدَين على ظهر الأرض ... فقد أعادا الفتاة الصغيرة إلى أبوَيها ... وأعادا السعادة إلى البيت الشقي ... ووضع كلٌّ منهما يده في يد الآخر وغاصا في الظلام.


هنداوي